الباب الثاني

الصراع بين ثعلب الصحراء

وقوات الحلفاء

obeikandl.com

obeikandl.com

شـهادة

الفيلد مارشال سير كلود أوشن ليك

القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط

1941ـ1942

هناك خطاب كان من الضروري ـ كما أعتقد ـ أن أرسله إلى قادتي المرؤوسين في ميدان القتال، حيث كان مجرد ذكر اسم روميل يعني صفات وخصائص سحرية يتخيَّلها جنودنا عنه في أذهانهم، ولا يمكن بالطبع أن يحصل قائد العدو على مثل هذا الإعجاب إلا إذا كان يحظى بشخصية غير عادية، ولاشك في أن روميل كان يحظى بشخصية غير عادية.

إن ألمانيا أفرزت العديد من الجنرالات، ولكن روميل كان دائمًا في طليعتهم، حيث إنه استطاع الخروج من نطاق العقلية الألمانية العسكرية المتحجِّرة إلى نطاق آخر جعله سيد الابتكارات الحربية.

كنت أعتقد أن الضباط الألمان (الأصاغر) في الفيلق الأفريقي، وقادة الفصائل وقادة السرايا والكتائب أفضل في التكتيك الحربي من رجالنا، غير أن هذا لم يكن قصوراً منهم بل إنه يرجع إلى عدم تلقِّيهم التدريبات الكافية في جيشنا في وقت السلم، ولكن في أثناء الحرب تفوق ضباطنا على الألمان؛ بسبب الضغوط والأجواء التي تحيط بالمعركة، مما طوَّر غريزتهم التكتيكية، ولكن على مستوى الرتب الأكبر يظل روميل القائد الأكثر بروزًا في ميدان القتال، وأنا أشهد بنفسي على مرونته، وسعة حيلته، وقدرته الذهنية، وشدة ذكائه، ولهذا يجب دراسة شخصيته حتى تكون مادة لتدريب شبابنا على أساليبه الحربية، وتعليم ضباطنا فن القيادة، أما عن اتصالاتي الشخصية بروميل فكانت من خلال الفيلق الألماني الأفريقي في حملات عامي 1941ـ 1942 في الصحراء الغربية عندما

كان الجيش الثامن البريطاني تحت قيادة الجنرال أوكنلك، ولكن بعد قراءة قصة حياة روميل في سنواته الماضية والأخيرة اكتشفت أن الفكرة التي كونتها عنه خلال المعارك بين بني غازي والإسكندرية كانت خاطئة، فإنه شخص بسيط للغاية، ومرتبط جداً ببيته وأسرته (زوجته ونجله الوحيد).

حينما كنا الذين قاتلنا ضده نتصور أنه ضابط من فئة اليونكرز، ومن الذين أفرزتهما الآلة البروسية الحربية الرهيبة، والجدير بالذكر أن روميل جعلني وكل قادتي المرؤوسين في حرب الصحراء نعيش لحظات عصيبة مليئة بالقلق والتوتر أثناء الحرب، وكنا نبذل كل جهودنا لتدميره هو وقواته؛ إذ لم يكن يتردد في بذل كل ما في طاقته لتدمير عدوه، ولم يكن يُظهر أية رحمة في ذلك، ولم يكن ينتظرها من أحد، وعلى الرغم من كل معاركه معنا فإنني لم أستطع أبداً الشعور شخصياً بكراهته كعدو برغم مقتي وكراهيتي الشديدة للنظام النازي الرهيب الذي حارب روميل وبذل روحه من أجله.

وإنني بعد وفاته أشعر بوجوب تحيَّتي له كجندي شريف، وكقائد عظيم، وأدين بشدة الطريقة الدنيئة التي اتَّبعها هتلر لقتله.

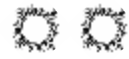

هل حقَّق مونتجومري
أهدافه في معركة العلمين؟

obeikandl.com

obeikandl.com

هنـــاك اعتبارات معينة جديرة بالبحث والدراسة، فقد كانت قوات الطرفين على اتصال مباشر لمدة أربعة أشهر قبل المعركة، وقد حاول كلا الطرفين الاستعداد لهذه المعركة بكل وسيلة ممكنة، وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهتهما هي مشكلة الإمداد والتموين، وكان من المعروف جيداً أن الطرف الذي يسبق خصمه في سباق الإمداد والتموين هو الذي سيبدأ بالهجوم.

وانهالت الإمدادات على الجيش الثامن البريطاني، وتدفَّقت المعدات الأمريكية إليه بشكل لم يسبق له مثيل، ولم تتمكَّن القيادة الألمانية مجاراة هذا التدفُّق، حيث كان الميدان الروسي في ذلك الوقت يستنزف معظم مجهود ألمانيا الحربي، علاوة على الخسائر الفادحة التي أُصيبت بها سفن المحور في البحر الأبيض المتوسط أثناء محاولتها نقل الاحتياجات التموينية والمعدات إلى قوات "روميل" في شمال أفريقيا، وكان من البديهي أن ينتقل التفوق الساحق نتيجة لذلك إلى جانب البريطانيين، بينما لم يتمكَّن "روميل" من دعم قواته الألمانية (فرقه الأربعة) بأي قوات أخرى إضافة إلى أن الفرق الإيطالية التي كانت تحارب معه لم تكن في المستوى الذي يسمح لـ"روميل" بالاعتماد عليها اعتماداً كليًّا.

وشعر "روميل" بأن التفوُّق أصبح إلى جانب القوات البريطانية، ولذلك عمد إلى تقوية مواقعه الدفاعية، وتكثيف حقول الألغام أمامها، كما احتفظ بجميع قواته المدرعة في الاحتياطي بالقطاعين الشمالي والجنوبي حتى يمكنه دفعها في الوقت المناسب إلى المكان المحتمل للهجوم البريطاني.

أما من ناحية "مونتجومري" فقد فكَّر مليًّا في الاستفادة من ذلك التفوُّق الساحق الذي تحقَّق لقواته، كما فكر في طبيعة الأرض بمنطقة العلمين، حيث تقف قوات خصمه بين مانعين طبيعيين قويين (البحر المتوسط شمالاً، ومنخفض القطارة جنوبًا)،

وقد وجد أن فرصته نادرة، ولا يمكن أن تتوافر له مرة أخرى، فهو يعلم جيداً أن قوات المحور تتفوَّق على قواته في المعارك المتحركة خفيفة الحركة، كما أن مستوى تدريب قيادات قوات المحور على هذا النوع من المعارك أفضل بكثير من مستوى تدريب قياداته، وعلاوة على كل هذا فإن "روميل" بالذات لا يجاريه أي قائد آخر في خبرته بالعمليات الصحراوية المتحركة التي تعتمد أساسًا على المناورة وخفة الحركة، ولذلك قرر "مونتجومري" أنه من الضروري استغلال تفوقه الكبير في ضرب قوات المحور ضربةً واحدة كبرى للقضاء عليها بأكملها، وهي محصورة في منطقة العلمين مع عدم إتاحة أي فرصة لها للانسحاب حتى لا تعود لـ"روميل" الحرية في مزاولة مناوراته البارعة في الأراضي المفتوحة الواقعة في الغرب، وكان قرار "مونتجومري" هذا متمشِّيًا مع الخطة الاستراتيجية للحلفاء، حيث إن القضاء على قوات "روميل" نهائيًّا يُمكّن القوات الأمريكية ـ البريطانية من النزول على ساحل أفريقيا الشمالي في الموعد المخصص لذلك، وهو يوم 8 نوفمبر، وبهذا يتسنَّى للحلفاء السيطرة على شمال أفريقيا بأكمله، ويتم بذلك تطويق قلعة "هتلر" الأوروبية من الجنوب.

هذه هي الاعتبارات العامة التي سيطرت على تقدير الموقف لكلا الجانبين، وقد تحددت أهداف كل منهما طبقًا لذلك، ولهذا انحصرت تلك الأهداف فيما يلي:

- بالنسبة للبريطانيين يجب القضاء على جميع قوات المحور وهي في منطقة العلمين.
- بالنسبة للمحور يجب الدفاع عن منطقة العلمين ضد أي هجوم بريطاني.

إلاّ أن وجهة نظر "روميل" تختلف مع وجهة نظر القيادتين العليا الألمانية والإيطالية في الاستمرار في الدفاع، فقد كان من رأيه أن ينسحب في الوقت المناسب حتى لا تتعرض قواته للفناء، وبذلك يعود لعملياته السابقة من حيث تقصير خطوط مواصلاته، وإطالة خطوط مواصلات البريطانيين، أما القيادة العليا الألمانية والإيطالية فقد صممتا على أن تصمد قوات المحور، وتدافع في العلمين إلى النهاية، وقد أصدرتا أوامرهما بذلك.

وعلى الرغم من التفوق البريطاني الساحق في الأفراد والمعدات، وعلى الرغم من أن الخطة التي وضعها "مونتجومري" كانت تهدف إلى تدمير كامل لقوات المحور، وهي في منطقة العلمين فقد اعترضت تنفيذ هذه الخطة عدة عقبات خطيرة؛ بسبب براعة "روميل" في القيادة، وارتفاع مستوى تدريب قواته، وكفاءة قواته القتالية في العمليات، وكانت العقبة الأولى التي واجهت "مونتجومري" هي فشله في اختراق مواقع المحور الدفاعية في هجومه الأول ليلة 23/ 24 أكتوبر، مما أدى إلى توريط قواته المدرعة فيما بين حقول الألغام التي عبرتها، ومواقع المحور الدفاعية التي صمدت تجاه الهجوم البريطاني، وقد تكبَّدت القوات البريطانية المدرعة خسائر فادحة؛ بسبب هذا الموقف، واضطرت القيادة البريطانية إلى سحبها ثانية شرق حقول الألغام، كما اضطرت إلى مواصلة القتال المتلاحم في منطقة الاختراق عدة أيام من دون أي نتيجة تُذْكَر، وفي النهاية اضطر "مونتجومري" إلى تعديل خطته بعد أن أوشكت القوة الدافعة لهجومه أن تتوقف.

وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزه "مونتجومري" في هجومه النهائي إلاّ أن "روميل" كان بارعًا في مواجهة تطورات الموقف، على الرغم من قرارات القيادة العليا الألمانية والإيطالية المعاكسة، ولذلك نجح في سحب جزء كبير من قواته المدرعة والآلية من دون أن تتمكن القوات البريطانية ـ على الرغم من تفوقها في البر والبحر ـ من أن تنزل بها هزيمة كبيرة، مع أنها فقدت كل دباباتها تقريبًا، علاوة على أنها كانت تنسحب في أرض صحراوية مكشوفة لا تتوافر فيها أي وسائل للإخفاء أو الوقاية من الهجمات الجوية، ولا شك أن هذا الانسحاب يعتبر نموذجًا رائعًا قلما يحدث مثله في تاريخ الحروب، ويرجع الفضل الأكبر في نجاحه إلى عدة عوامل أهمها ما يلي:

أـ براعة "روميل" التكتيكية، وسرعته في اتخاذ القرارات.

بـ التدريب الجيد لقوات "روميل" المدرعة والآلية، وهي القوات التي كانت تستر انسحاب قوات المشاة، فقد تمكَّنت هذه القوات في كثير من المرات من تعطيل قوات تفوقها عدداً وعُدَّة لفترات طويلة.

ج- الروح المعنوية العالية لدى جنود المحور على الرغم من انسحابهم؛ وذلك لثقتهم المطلقة في قائدهم.

د- جمود التكتيكات البريطانية، وبطء القيادة البريطانية وحذرها الفائق الذي سبَّب ضياع فرص عديدة.

م- عدم اتِّباع سلاح الطيران البريطاني تكتيكات مناسبة في التعاون مع القوات البريطانية في عمليات المطاردة، مما أدى إلى فشله في إيقاع خسائر كبيرة بقوات المحور المنسحبة.

ونتيجة لما سبق نجح "روميل" في سحب الجزء الأكبر من قواته من منطقة العلمين، وبالتالي لم يتحقق هدف "مونتجومري" في تحطيم جميع قوات المحور في هذه المنطقة، وبالتالي وجد الجيش الثامن البريطاني نفسه في صراع جديد من أجل تعقُّب بقايا قوات المحور، والقضاء عليها، وظل في قتال مستمر وطويل طوال الأشهر التالية، وامتد ميدان القتال أمامه في مسرح عمليات شمال أفريقيا تدريجيًّا من الأراضي المصرية حتى وصل في نهاية الأمر إلى الأراضي التونسية، وضاعت على الجيش البريطاني فرصة الانتهاء من قوات المحور، والتفرُّغ لعمليات أخرى.

تطبيق الجانبين لمبادئ
الحرب في معركة العلمين

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت معركة العلمين معركة فاصلة، استعرض فيها كلا الجانبين أقصى ما لديهما من البراعة في أساليب القتال، لذلك أمكن الخروج منها بعدة دروس، ومبادئ للحرب، أمكن تطبيقها في العمليات التالية، وما زالت هذه المبادئ صالحة حتى يومنا هذا. وهذه أهم المبادئ التي برزت في معركة العلمين التي لا يمكن ضمان النصر بدون تحقيقها.

1. **المفاجأة**:

على الرغم من أن الموقف لم يسمح لـ "مونتجومري" بتحقيق المفاجأة الاستراتيجية، إلاّ أنه استطاع تحقيق المفاجأة التكتيكية، وذلك بإخفاء حجم القوات، واتجاه وموعد الهجوم، وتم تحقيق مفاجأة قوات المحور عند بدء الهجوم ليلة 23/ 24 أكتوبر، وليس أدل على ذلك من أن "روميل" كان متغيِّبًا في برلين في ذلك الوقت؛ لاعتقاده أن موعد الهجوم البريطاني لم يحن بعد.

وكان من تأثير المفاجأة البريطانية أن قوات المحور لم تتمكَّن من توجيه أي هجمات مضادة كبرى ضد القوات البريطانية في المراحل الأولى من المعركة، وظل "روميل" في شك من اتجاه المجهود الرئيسي حتى يوم 26 أكتوبر، وبذلك ظلت قوات المحور المدرعة موزعة بين القطاعين الشمالي والجنوبي حتى هذا الوقت.

ونجح الجيش الثامن البريطاني حين انتهز فرصة اهتمام قوات المحور بهجوم الفرقة 9 الأسترالية في الشمال، ووجَّه ضربته الرئيسية بواسطة الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية من الفيلق 30 في مكان يبعد كثيرًا عن المنطقة بعد أن تحركت معظم قوات فيلق أفريقيا (الاحتياطي المدرع) إلى أقصى الشمال لمواجهة هجمات الفرقة 9 الأسترالية، وبذلك استطاعت الفرق 2 المشاة النيوزيلندية أن تخترق دفاعات المحور اختراقًا تامًا في ليلة 1/ 2 نوفمبر.

ومن أمثلة المفاجأة في تلك المعركة ذلك الهجوم اللَيْلِي الذي قام بـه البريطـانيون ضـد نقب حلفاية بدون معاونة من المدفعية؛ إذ تمكنت القوات المهاجِمـة بفـضل المفاجـأة مـن أسر ما يقرب من ستة أضعاف حجمها من جنود قوات المحور، عـلاوة علـى اسـتيلائها على النقب من دون أي خسائر تُذكَر على الرغم من مناعته.

2. **الحشد**:

ما زالت القدرة على حشد أكبر قوة ممكنـة في المكـان والزمـان المناسـبين هـي العامـل الأول لكسب أي معركة من المعارك، وخاصة إذا اشترك الحشد مع المفاجأة، وقد أكدت معركة العلمين هذه الحقيقة تأكيداً تامًا؛ إذ إن "مونتجومري" لم يكن لينجح في اختراق خطوط المحور في ليلة 1/ 2 نوفمبر لو لم يحشد لهذا الاختراق أكبر قـوة ممكنـة في الوقـت والمكان المناسبين، ومبدأ الحشد لا ينطبـق علـى القـوة العدديـة فحـسب، لكنـه يتوقـف كذلك على قدرة الأسلحة، والمعدات المتيسرة وكفاءتها، كمـا يتوقـف الحـشد بـصورة أساسية على تقدير موقف دقيق للقائد وبُعد نظـره، ومراعاتـه لمـدى احتيـاج قواتـه مـن المطالب الإدارية، وخاصـة في المنـاطق الـصحراوية، حيـث يتوقـف حجـم القـوة الـتي يستخدمها القائد على مدى استعداداته الإدارية.

ولقد حشد "مونتجومري" الفيلقين (10، 30) في أضيق جبهة ممكنة، وقام بالهجوم بأربع فرق بمواجهة 10كم تعاونها نيران 800 مـدفع، ومـن خلفهـا فرقتـان مـدرعتان، ولقد كان هذا دون شك أعظم حشد أمكن تحقيقه في جميـع عمليـات الـصحراء في ذلـك الوقت، وجاء مؤيداً لنظرية "مونتجـومري" بالنـسبة لاسـتخدام المدفعيـة والـدبابات، وكانت هذه النظرية تؤكد ضرورة استخدام هذين السلاحين في أعظم حشد ممكـن حتـى يمكنهما إظهار أعظـم قـوة لهمـا في المعركـة، وفي الوقـت نفـسه أحـرز سـلاح الطـيران البريطاني التفوق الجوي الساحق، مما أتـاح الفرصـة للقـوات البريـة لإعـادة التجميـع، والقيام بالهجوم في الوقت المناسب.

ومن ناحية أخرى فإن "روميل" لم يكن لينجح في صد الهجوم البريطاني من ليلة 23/ 24 أكتوبر حتى أواخر ذلك الشهر لو لم ينجح في تحريك احتياطيه المدرع، وحشده في الأماكن المناسبة؛ لصد اختراق الجيش الثامن، وقد فشل بعد ذلك في صد الهجوم النهائي الحاسم للقوات البريطانية؛ لعجزه عن حشد احتياطياته في الوقت المناسب تجاه منطقة الهجوم.

3. **المرونة وخفة الحركة**:

لا يتحقق نجاح إتمام عمليات الحشد إلاّ إذا توفر للوحدات والتشكيلات قدر كاف من المرونة، وخفة الحركة، والقدرة على المناورة، حيث إن الحرب الحديثة في الأراضي الصحراوية تتطلب تحريك قوات كبيرة بأسلحتها، ومعداتها الثقيلة في أوقات محدودة.

لقد أثبتت العمليات أن المرونة عامل أساسي في عمليات الصحراء؛ نظراً لطبيعة الصحراء المفتوحة التي تتطلب قدراً أكبر من التحركات لمواجهة كل الاحتمالات، كما أن الصحراء يتعذَّر فيها تحديد اتجاه معين لتطور العمليات، ولذا يجب أن تكون كل الوحدات المقاتلة والإدارية على استعداد للتحرك في أي وقت من مكان لآخر طبقًا لما يتطلبه تطور أعمال القتال، وهذا بالتالي يؤكد أهمية تحويل كل الوحدات التي تعمل بالصحراء إلى وحدات آلية حتى لا تلاقي مصيراً مثل الذي لاقته فرق المشاة الإيطالية التي لم تكن لديها أي حملات بالقطاع الجنوبي في معركة العلمين.

لقد أثبتت عمليات المطاردة التي تلت معركة العلمين أن كثيراً من المعدات تحتاج إلى تطوير حتى تزداد سرعة تحرُّك الوحدات لمسافات طويلة، وقد أثبتت تلك العمليات أهمية وضع أسس جديدة لحل مشكلة الإمداد والتموين للقوات القائمة بأعمال المطاردة حتى لا تتقيَّد مرونتها بسبب مشاكل الإمداد، كما حدث للقوات البريطانية أثناء مطاردتها لقوات المحور في "برقة".

وأثبتت العمليات أيضًا في تلك الفترة كفاءة النظام الإداري الألماني الذي كان يتميز

على النظام البريطاني بشيئين مهمين، كان لها أكبر الأثر في توفير قدر أكبر من المرونة لدى قوات المحور؛ الشيء الأول: تحقيق قدر أكبر من الاكتفاء الذاتي، والشيء الثاني: تهيئ أفضل فرص لإصلاح العربات والمعدات المعطَّلة، ولذلك كانت قدرة القوات الألمانية على التحرك أكثر من قدرة القوات البريطانية، وهذا هو الذي مكَّن "روميل" من استخدام هذه القوات بمرونة تامة طوال فترة الانسحاب، وهي شبه منفصلة عن قواعدها الإدارية، فضلاً عن كفاءتها الفائقة في التحرك لمسافات طويلة في أزمنة محدودة.

4. **المبادأة**:

حصل "مونتجومري" على ميزة المبادأة في معركة العلمين، وحافظ عليها طوال سير العمليات، ولم يتحوَّل عن خطته الأصلية على الرغم من هجمات "روميل" المضادة بقواته المدرعة، فلم يتحول مرة واحدة عن خطته ليواجه أي هجمات مضادة ألمانية، ولم يتخذ إجراءات لمواجهة هذه الهجمات سوى ما يكفي لوقف خطرها، وعلى العكس من ذلك فَقَدَ "روميل" ميزة المبادأة منذ اللحظة الأولى، ولم يستطع أن ينتزعها من "مونتجومري"، كما كان يفعل في معظم معاركه السابقة ضد الجيش الثامن البريطاني، والوسيلة الرئيسية للمحافظة على المبادأة هي أن يكون لدى القائد احتياطي من القوات، والأسلحة والمعدات؛ لاستخدامه في توجيه ضربات مستمرة إلى خصمه في اتجاهات غير متوقعة.

تمكَّن "مونتجومري" من المحافظة على المبادأة لوجود احتياطي كبير من القوات والمعدات لديه، وقام باستخدامه لتوجيه ضربات مستمرة إلى خصمه في اتجاهات غير متوقعة، وقد مكَّنه من ذلك وفرة القوات لديه.

أما "روميل" فلم يكن لديه الاحتياطي الكافي من القوات لمواجهة الهجمات المتعددة التي قام بها "مونتجومري" في قطاعات الجبهة؛ إذ كانت معظم قواته الرئيسية (فيلق أفريقيا" قد تورَّطت في اتجاهات أخرى من جبهة القتال فعلاً؛ لقد فقد "روميل" المبادأة

لقلة القوات المتيسرة لديه، ويقول "مونتجومري" في ذلك: "وعندما تجد قائداً يعيد تنظيم قواته أثناء مرحلة دقيقة من العمليات فهذا دليل على أنه سيكسب المعركة".

5. **الخداع:**

لاشك أن للخداع دوراً مهمًا في العمليات العسكرية لإحراز النصر؛ لذا عمد "مونتجومري" إلى وضع خطة واسعة النطاق لخداع قوات المحور عقب وضع خطة الهجوم مباشرة؛ لعلمه بأنه لن يستطيع إحراز المفاجأة الاستراتيجية مباشرة؛ لذلك استخدم كافة وسائل الخداع لإحراز المفاجأة التكتيكية، وكان هدفه من ذلك تضليل العدو عن حجم قواته، وموعد هجومه الرئيسي واتجاهه.

وبدأ "مونتجومري" في تنفيذ خطته بدءاً من منتصف شهر أغسطس 1942، فقد اتخذ الإجراءات لإظهار المنطقة التي ستحتشد فيها قوات الهجوم الرئيسي بالمظهر نفسه الذي ستكون عليه ليلة الهجوم، وذلك بنشر جميع العربات الإدارية الزائدة عن الحاجة والعاطلة، وكثير من العربات والأسلحة الهيكلية في المنطقة الأمامية للهجوم (منطقة الحشد الأمامية)، وفي الليلة السابقة على الهجوم تم سحب هذه المعدات ليلاً إلى المناطق الخلفية على مسافة 50كم، وتم إحلال جميع العربات والأسلحة والمعدات التي ستدخل المعركة بالفعل بدلاً منها، وقد أمكن بهذه الطريقة حشد الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، والفيلق 10 المدرع بالمنطقة الأمامية في اليوم السابق للهجوم من دون أن يفطن المحور إلى ذلك.

كما استُخدمت عربات هيكلية لإخفاء مدافع الميدان تحتها، ومُوِّهَت الدبابات على شكل عربات حَتى لا تكتشف قوات المحور عدد المدافع والدبابات التي تم حشدها في منطقة الهجوم، كما استمرت الفرقة 7 المدرعة طوال الأسابيع السابقة على الهجوم في القيام بعمليات تدريب واسعة النطاق بالقطاع الجنوبي حتى يوحي نشاطها بأن الهجوم الرئيسي سيوجَّه من ذلك القطاع.

وأُنشئت الخنادق والحفر والدشم اللازمة لاستيعاب قوات الهجوم الرئيسي بالمنطقة

الأمامية للهجوم، وذلك قبل موعد بدء الهجوم بشهر كامل، واتخذت الإجراءات لإظهارها، وكأنها محتلة بالقوات، بينما لم تحتلها القوات المخصصة للهجوم إلاّ قُبيل بدء الهجوم بمدة يسيرة، كما تمت جميع تحركات القوات المتخصصة للهجوم ليلاً، وكانت جميع أعمال الحفر الإضافية تتم ليلاً، وتُخفي، وتموِّه قبل أول ضوء.

كما أُذيعت ليلة الهجوم معلومات من رئاسة أحد اللواءات المدرعة بطريقة توحي إلى العدو ـ إذا التقطها ـ أن القوات المدرعة البريطانية تتحرك نحو الجنوب.

واتُخذَت التدابير والإجراءات لإيهام قوات المحور بأنه ستتم عملية إنزال بحري على الساحلَ الشمالي على نطاق واسع خلف مواقعه الدفاعية على خط العلمين، وفي يوم الهجوم خرجت عدة سفن حربية بريطانية في الساعة 1600 من ميناء الإسكندرية واتجهت غربًا، وقد تم شحن هذه السفن بالجنود والدبابات على مرأى من عدد كبير من الناس الذين يُعْتَقَدُ أن بينهم بعض عملاء المحور، وقد عادت معظم السفن إلى الإسكندرية أثناء الليل إلاّ عدد قليل من سفن الإنزال كُلِّف بمهمة القيام بهجوم تظاهري مخادع على الساحل الشمالي خلف خطوط المحور الدفاعية على خط العلمين، وذلك باستخدام الهاونات والرشاشات والإشارات الضوئية مع قيام الأسطول البريطاني بتعزيز هذا الإنزال البحري بضرب مواقع المحور بالمدفعية، وقد حُدِّد موعد بدء هذا الهجوم من الساحل بحيث يكون بعد بدء الهجوم البري الرئيسي بثلاث ساعات على أمل أن يضطر المحور إلى الاحتفاظ باحتياطيه الموجود بالمنطقة الشمالية الساحلية لمواجهته.

ونجحت خطة الخداع هذه نجاحًا هائلاً حتى أن "روميل" نفسه كان متغيِّبًا في ألمانيا عندما بدأت معركة العلمين لاطمئنانه بأنه ما زال هناك بعض الوقت قبل موعد بدء الهجوم البريطاني المنتظر، علاوة على أن قيادة قوات المحور لم تفطن إلى الاتجاه الذي ستوجَّه منه الضربة الرئيسية، ولذلك اضطرت إلى تقسيم قواتها المدرعة إلى قسمين كاحتياطيات قوية أحدهما بالقطاع الشمالي، والآخر بالقطاع الجنوبي، بدلاً من تركيز هذه القوات أمام قطاع الهجوم الرئيسي.

المراجـع

1. وزارة الحربية، الجيش المصري، "العمليات الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية 1940ـ1943، إدارة تدريب الجيش، القاهرة، 1957، الجزء الثاني.
2. وزارة الحربية، الجيش المصري، "العمليات الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية 1940ـ1943، إدارة تدريب الجيش، القاهرة، 1957، الجزء الثالث.
3. وزارة الحربية، القوات المسلحة المصرية، "التاريخ العسكري"، هيئة البحوث العسكرية، القاهرة، 1972، طبعة مؤقتة.
4. شوقي بدران، "معركة العلمين وقادتها"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967.
5. دزموند يونج، "الفيلد مرشال روميل ومذكراته السرية"، ترجمة سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية، بغداد، 1987، الطبعة الثانية.
6. ليدل هارت، "القادة الألمان يتكلمون"، دار القاهرة، القاهرة، 1948

obeikandl.com

الأسماء المذكورة

في معركة العلمين ومناصبهم

الاسم	الوظيفة
الفيلد مارشال سمطس	رئيس وزراء جنوب أفريقيا عام 1942 .
الجنرال آلن بروك	رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية البريطانية .
الجنرال أوكنلك	قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1942 .
الجنرال هارولد ألكسندر	قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1942 بدلاً من أوكنلك .
الفيلد مارشال برنارد مونتجومري	قائد الجيش الثامن البريطاني في معركة العلمين 1942 .
الجنرال دي جويجانت	رئيس أركان الجيش الثامن البريطاني في معركة العلمين 1942 .
الجنرال هربرت ليمسدن	قائد الفيلق 10 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال بريان هوروكس	قائد الفيلق 13 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال أوليفرليس	قائد الفيلق 30 البريطاني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال هيوجز	قائد الفرقة 44 المشاة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال نيكولز	قائد الفرقة 50 الهايلاندرز البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال ويمبرلي	قائد الفرقة 51 المشاة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .

الجنرال ريموند بريجز	قائد الفرقة الأولى المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال جون هاردنج	قائد الفرقة السابعة المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال جيت هاوس	قائد الفرقة 10 المدرعة البريطانية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال موريسهد	قائد الفرقة التاسعة المشاة الأسترالية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال بينار	قائد الفرقة الأولى المشاة جنوب أفريقيا في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال فريبرج	قائد الفرقة الثانية النيوزيلندية في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال فرانسيس توكر	قائد الفرقة الرابعة المشاة الهندية في معركة العلمين عام 1942 .
الفيلد مارشال روميل	قائد جيش البانزر الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942 .
الجنرال شتومه	قائد جيش البانزر الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942 أثناء رحلة علاج الفيلد مارشال روميل في ألمانيا .
الجنرال فون توما	قائد الفيلق الأفريقي الألماني في معركة العلمين عام 1942 .

obeikandl.com

ميدان القتال بأخلاق الفرسان

obeikandl.com

obeikandl.com

اتسمت حرب شمال أفريقيا بأنها "حرب الفروسية" ، هذا ما قاله الجنرال هانز كرامر القائد الأسبق للفيلق الأفريقي الألماني لأحد مراسلي نيويورك تايمز بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها. تفاخر الفيلد مارشال روميل بنقاء سجل قواته العسكري؛ إذ كان روميل يؤمن بالسلوك القويم للجندي وتقنين ذلك السلوك، ولم يكن ذلك أمرًا دخيلاً على العسكرية الألمانية، فقد كان ذلك هو العرف السائد بين الغالبية العظمى من الضباط النظاميين في الجيش الألماني، وبشكل خاص بين هؤلاء الذين خدموا في الجيش قبل عام 1933، أما على مستوى الجنرالات فهناك قلة لابد من استثنائها في ذلك الشأن من هؤلاء أتباع الجيرالين كيتل وجودلز اللذين استحوذ عليهما، واستغلهما هتلر، واتبعا أوامره الشائنة حتى ولو لم يؤمنا بها.

كنا نعتبر أن الألمان نمط واحد وسلوك واحد، وقد أخطأنا في ذلك، فلم نكن نعلم العداوة والبغضاء بين قوات الدفاع الألمانية والنازيين، ولم نكن نعلم احتقار وازدراء ومعارضة العديد من الجيرالات لهتلر، كان اعتقادنا خاصة في الجيش أن الألمان فكرٌ واحد، فكنا لا نميز بين نبلاء المجتمع الألماني، وهنالك في بولندا وروسيا ارتكب الجنود الألمان الفظائع والأهوال وحرقوا الأخضر واليابس، وساموا شعوبها سوء العذاب.

لكن الأمر لم يكن كذلك في أفريقيا، فقد سارت الحرب في شمال أفريقيا على وتيرة مختلفة ومبدأ مختلف، وكانت سلوكيات الجيش النظامي في شمال أفريقيا تختلف كل الاختلاف عنها في بولندا وروسيا، واتسمت الحرب في شمال أفريقيا بنقاء ضحتها، وبراءة مقاتليها، وخلو سجلهم من جرائم الحرب، وامتاز الألمان في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية عن الحرب العالمية الأولى، فما سر ذلك الامتياز؟ ربما لأن القتال في الحرب العالمية الثانية لم يتسم بالمواجهة المباشرة بين الجنود، وربما أيضًا لحسن العلاقة بين الضباط والجنود، وكان مما تميزت به الحرب العالمية الثانية عن الحرب العالمية الأولى

في شمال أفريقيا أنه لم تُرتكَب جريمة قتل الأسرى على مستوى قوات الحلفاء والمحور على السواء.

على أية حال فقد اكتشف الإنجليز اعتزام الفيلق الأفريقي الالتزام بقواعد وأخلاقيات الفروسية في الحرب، ويرجع ذلك كله إلى القائد النبيل والحكيم إروين روميل، حيث كان مقاتلاً شجاعًا، وفارسًا نبيلاً، وقائداً حكيمًا، فلقد اتبع الفيلق الأفريقي ليس فقط كقائد، ولكن أيضًا كمثل أعلى لجنوده، ولعل ما ساعد روميل في تنفيذ مذهبه النبيل في ذلك على حد قول الجنرال بايرلين نقاء الفيلق الأفريقي من قوات الحراسة الخاصة لهتلر (S.S)، فكان الفيلق الأفريقي ذا حظ عظيم، ولولا خلو الفيلق الأفريقي من تلك القوات لكانت العاقبة سيئة، فليس لجنرالات الجيش الألماني في الحرب السلطة على أفراد قوات الحراسة الخاصة التي تتلقى أوامرها فقط من قائدها هيملر رئيس الجستابو، ويعني ذلك أنهم يفعلون كل ما تشتهيه أنفسهم الوضيعة؛ أي كل ما هو إثم وعدوان، وكل ما يستطيعه القائد العسكري عند الاعتراض على سلوك أفراد هذه القوات أن يبلغ الجنرال هيملر فقط، وليس له أن يتخذ أي إجراء تأديبي إزاء سلوكياتهم المشيْة، ولو كُتِب النجاح لمحاولة اغتيال هتلر في العشرين من يوليو عام 1945 لاندلعت حرب أهلية بين قوات الجيش وقوات الحراسة الخاصة، ولكان أول هدف لقوات الجيش من تلك الحرب هو القضاء على قوات الحراسة الخاصة لهتلر، وبالرغم من أن الحرب العالمية الثانية كانت حربًا فروسيًا إلا أن جنود الجيش في شمال أفريقيا كانوا أفضل حالاً ممن حاربوا في ميادين أخرى، فلم يمسهم العار الذي لحق بغيرهم ممن ارتكبوا أشنع جرائم الحرب، وفي مقدمتها جريمة قتل الأسرى.

كان يحدث أحيانًا سوء تفاهم بين روميل وجنوده، فقد يحدث ما يضايقهم، ولكنه الأسر، فكانت هناك مواقف صعبة قد تثير غضب الجنود الإنجليز، فقد صدر على سبيل المثال أمر عسكري من الجانب الإنجليزي بألاَّ يتناول الأسير الألماني وجبة طعام قبل استجوابه، والنية في ذلك حسنة، فالأسير يكون مهتزًا نوعًا ما في ساعات أسره الأولى،

فإن استُجوب في هذه الساعات قد يمكن التوصل عن طريق استجوابه لبعض المعلومات التي تفيد الذين أسروه، والأمر بلا شك يختلف إذا تناول الأسير وجبة طعام وشراب ودخن سيجارة، حيث يساعده ذلك على تأهيل نفسه للاستجواب، مما يجعله يفكر فيما يقول، ولذا لا يُسمح للوجبة قبل الاستجواب، وقد يستغرق ذلك ساعة أو ساعتين.

كانت مثل هذه الأوامر لا تتعدى كونها أوامر شفوية، وليس في صالح الإنجليز أن تتسرَّب إلى معسكر الأسرى الألمان، وقد حدث أن مجموعة كبيرة من الأسرى الإنجليز كانوا قد انتقلوا في عربة لنقل الأسرى مسافة طويلة تحت شمس الصحراء الحارقة، وظلوا حوالي عشر ساعات بلا طعام أو شراب، وعندما وصلوا إلى معسكر الأسرى أصبحوا في أسوأ حالة، وكانوا في شوق شديد للطعام والشراب، وعندما تم عرضهم في طابور تحدث إليهم ضابط ألماني باللغة الإنجليزية، حيث قال: "اعتذر أيها السادة بتأخير الطعام والشراب عنكم، حيث أن ذلك هو ما سلكتموه مع الأسرى الألمان، فقد أصدرتم أوامر بتأخير الطعام والشراب عنهم حتى يصلوا القاهرة، وأنابكل أسف سوف أضطر أن أتعامل معكم طبقًا لأوامركم، ولن يتغير موقفنا حتى يتغير موقف الجيش الإنجليزي تجاه أسرانا لديكم، ولن يُقدَّم لكم طعام أو شراب قبل وصولكم إلى بني غازي، وقد تغير الموقف الإنجليزي تجاه الأسرى الألمان بعد أن تناول الأسرى الإنجليز الطعام والشراب في منطقة درنة في صباح اليوم التالي.

وما هو أخطر من ذلك هو الأمر الذي وجه مكتوبًا في جيب ضابط من الكوماندوز الإنجليزي وقع بعد غارة فاشلة على (طبرق) في أغسطس 1942، فقد ترجم ذلك الخطاب إلى اللغة الإيطالية، وكان محتواه أنه إذا تعذر نقل الأسرى فلا مفر من قتلهم، وبالطبع أثار هذا الخطاب ثائرة الإيطاليين، وكان على ضابط الأركان الذي كتب هذا الخطاب أو أصدر هذا الأمر أن يضع في الاعتبار احتمال أسر من يحمله، وليس كونه مكتوبًا بالإنجليزية يعني ألا يوجد من يترجمه إلى الإيطالية، وبالتالي فإن العدو استطاع بالطبع معرفة النص بما يحتويه من معاني خطيرة، وقد وقع الخطاب بالفعل في أيدي العدو، وكان على ضابط الأركان الإنجليزي أن يدرك خطورة ما كتبه، وتكمن الخطورة

هنا في كيفية تعامل العدو مع الأسرى الإيطاليين . . لقد أضر ضابط الأركان الإنجليزي بأبناء وطنه ضرراً بالغًا بهذا الفعل غير المسئول، وقد حدث مثل ذلك الحادث من قبل عندما أطلع العدو على أوامر الإنجليز بتقييد الأسرى، وكانت النتيجة أنه بعد غارة ديبْ أن بعض الأسرى الإنجليز ظلوا مسلسلين لعدة شهور.

وكان أمر هتلر الصادر في الثامن عشر من أكتوبر من عام 1942 واضحًا، وهذه بعض نصوصه:

الفقرة الأولى:

"من الآن فصاعداً يُقتل كل من يقع في أسر القوات الألمانية من أفراد كوماندوز العدو في أوروبا أو في أفريقيا، سواء كان أفراد الكوماندوز مسلحين أو غير مسلحين، وسواء تم إنزالهم بحراً أو جواً. وينطبق ذلك أيضًا على من تظاهر بالاستسلام منهم للألمان عند القبض عليه".

الفقرة الخامسة:

"ولا ينطبق هذا الأمر على جنود العدو الذي يتم أسرهم في المعارك المفتوحة، وذلك في إطار المعارك المفتوحة، ويتحمل المسؤولية القانونية طبقًا لأحكام القوانين العسكرية؛ أي يعاقب بالإعدام كل من يرفض أو يتهاون في تنفيذ هذا الأمر، أو يهمل في التنبيه على مرؤوسيه بما جاء فيه" وقد وقَّع هذا الأمر أدولف هتلر.

وفي هذا الصدد تم استجواب الجنرال سيجفريد ويستفال (Siegfried Westphal) وذلك في محاكمة الثامن عشر من يونيو في نوريمبرج (Nuremberg) عقب انتهاء الحرب:

س: لقد كنت في الفيلق الأفريقي لأكثر من عام ونصف كيف كانت تدار الحرب هناك؟

ج: كانت تدار بشجاعة وشهامة وفروسية، كانت إدارة لا عيب فيها.

س: من كان قائدك؟

ج: الفيلد مارشال روميل.

س: هل أمر أو سمح بتجاوز قوانين الحرب؟

ج: أبدًا.

س: ماذا كانت مهمتك معه؟

ج: كنت مساعده، كنت دائمًا على اتصال به على المستوى الشخصي وعلى المستوى المهني.

س: هل تعلم الأمر التي أصدره هتلر في الثامن عشر من أكتوبر من عام 1942؟

ج: نعم.

س: هل تسلمتم الأمر؟

ج: نعم لقد تسلمناه من ضابط الاتصال في الصحراء بالقرب من سيدي براني.

س: كيف تصرف روميل عند تسليم هذا الأمر؟

ج: كنت أنا والمارشال روميل بجانب سيارتنا، واقترحت ألا ننشره فقمنا بحرقه، وعلى الفور حيثما كنا نقف، وكان الدافع ما ذكر في مقدمة الأمر، وهو كما يلي: "لقد انتهك العدو اتفاقيات جنيف بتبني أساليب غاية السوء في المعركة، فقد تعاملوا بوحشية مع من أُسر من جنودنا، فلم يكتفوا بتصفية الأسرى، ولكن قاموا بقتلهم، ولم يسلم من ذلك الأسرى العزَّل، وكان الدافع في قتل الأسرى أنهم اعتبروا أن هؤلاء الأسرى قد يشكِّلون عبئًا أو عائقًا عليهم مستقبلاً، وقد حصلنا على أوامر (مع الأسرى الإنجليز) كانت توحي نصوصها أن قتل الأسرى أصبح مبدأ عامًا ومتَّبعًا عندهم، فقد علمنا بما نشر من شعارات ضد الألمان: "أقتلوا الألمان حيثما وجدتموهم وقد علمنا بالكثير مما يفاقم الحرب"، لقد حصلنا على أمر صادر عن لواء مدرع إنجليزي، حيث يمنع الأسير الألماني من الشراب، ورغم ما ذكرته فقد منعنا نشر هذا الأمر بين مرؤوسينا حتى لا تتفاقم الحرب أكثر مما هي عليه، وتصل أعلى درجة لا تحمد عقباها؛ ذلك هو سبب حرق الرسالة في عشر دقائق بعد

تسلمها، ولكن لم يكن روميل هو أول من رفض تنفيذ ذلك الأمر، فهناك بعض القيادات ممن رفضوا تنفيذ الأمر. وقد تم استجواب الجنرال ويستفال عن حالة ابن أخ الفيلد مارشال هارولد إلكسندر.

س: هل يمكنك أن تسرد بإيجاز حادثة معركة الكوماندوز التي اشترك فيها ابن أخ الفيلد مارشال البريطاني هارولد إلكسندر.

ج: في خريف عام 1942 أُسر أحد أقارب المارشال إلكسندر خلف الخطوط الألمانية، وكان على رأسه كاب الفيلق الأفريقي، وكان يحمل مسدسًا ألمانيًا، وهو بذلك كان قد تخطى القوانين العسكرية، وكان المارشال روميل في أعقاب ذلك الحادث قد أصدر أمرًا بأن يُعامل طبقًا للأحكام العسكرية كغيره من الأسرى، ولم يدرك المارشال روميل تبعات قراره، ولم يقبل المارشال روميل المساومة في هذا الشأن، ولكن نجاة قريبه كان سببها أنه طبقًا للعرف العسكري أنه لا يقتل جنرال أحد أقارب جنرال من جيش العدو.

ولقد سمعت ما أمتع سمعي من روائع الروايات عن معاملة روميل لأسرانا، مما يزيد من نقاء صحيفته العسكرية؛ منها ما سمعته من العميد كليفتون قائد لواء نيوزيلندي عندما تقابل مع المارشال روميل، فقد اشتهر بحادث هروبه من الأسر عندما لحق بنا أسيرًا، فقد خطط قصة هروب شجاعة جدًا، فعندما كان كليفتون معنا في سجن الأسرى خطط للهرب بذكاء شديد، ونجحت خطته حتى الخطوة قبل الأخيرة. نزل من شباك في الدور الثاني إلى أقرب بقعة ممكنة من الظل على زاوية من الحائط، حيث تقع هذه الزاوية في ممشى أحد الحراس، ووقف مستقبلاً الحائط في هذا المكان الظليل تحت سلك شائك، استطاع أن يفر من السجن، ثم ظل يمشي على أقصى سرعة حتى وصل أقرب محطة قطار بونت كو كليو، وركب أول (Ponte d'qlio) قطار في الصباح إلى ميلان، ومن المحطة الرئيسية انتقل بواسطة الترام إلى المحطة الشمالية، ووصل إلى كومو (Como). اعتزم عبور الطريق المار بفيلا دست (Villa d'este)، كما فعلت أنا فيما

بعد حتى يعبر جبل يقوده إلى سويسرا. استأجر سيارة لنقله إلى المحطة حيث اختلف مع السائق على أجرة الركوب، وشك فيه اثنين من المارة، فقُبض عليه وعاد إلينا، حيث انتقل إلى معسكر مخصَّص لمحترفي الهروب، وسمعنا بعد ذلك أن أحاط به عدد من الجنود، وأطلقوا عليه الرصاص من كل جانب، وقيل أنه حاول الهرب من حارسين كان يجلس بينهما في عربة قطار، حيث فاجئهم بالقفز من شباك القطار عندما بدأ القطار في السير، وقد أطلق عليه الرصاص حيث أصيب في فخذه، ونقل إلى مستشفى ألماني حيث عالجه طبيب ألماني، وهو يراسله حتى الآن عرفانًا بالجميل.

قصص واقعية عن قضية الفروسية في الحرب

كان الفيلد مارشال أوكنلك والجنرال مونتجومري يعتنقان فكرة استضافة الجنرال قائد العدو الأسير، والترحيب به بعد انتصارهما في المعركة، وهزيمة هذا القائد المهزوم، ففي معركة العلمين استضاف الجنرال مونتجومري قائد الفيلق الأفريقي الألماني الجنرال فون توما، وتناول العشاء معه في ميس الضباط البريطانيين، وقد تعرض مونتجومري بعد هذا العشاء مع القائد الألماني لموجة من النقد، وقد سجل الجنرال الألماني فون رافن ستين قائد فرقة البانزر 21 قصة لقائه مع الفيلد مارشال البريطاني أوكنلك في القاهرة بعد وقوعه في الأسر، فقال: "عندما وصلت القاهرة، وذهبت إلى معسكر الأسرى بالعباسية استدعاني المارشال أوكنلك إلى مكتبه، وقد صافحني بحرارة، وقال لي: (أنا أعرفك بالاسم أنت وفرقتك لقد قاتلتم بفروسية، وأنا أريد معاملتك بأفضل ما في إمكاني)"، وقد سجل الجنرال فون رافن ستين قصة أخرى تدل على مدى حرصه على التعامل مع الإنجليز بفروسية، فقد قال: "قبل أن أترك القاهرة سمعت أن الجنرال البريطاني كامبل قد أنعم عليه بوسام صليب فكتوريا، فنجح في الحصول من قائد معسكر الأسرى على تصريح بالكتابه إليه وهو كما يلي:

العباسة 10 فبراير 1942

عزيزي الجنرال كامبل:

لقد قرأت في الصحف أنك كنت خصمي الشجاع في معركة الدبابات في سيدي رزق في 21 نوفمبر 1941. لقد كانت فرقتي الألمانية 21 بانزر المدرعة هي التي قاتلت في تلك الأيام الحارة ضد الفرقة السابعة البريطانية المدرعة التي كانت موضع إعجابي الكبير، وإن وحدتكم السابعة المعاونة من المدفعية الملكية البريطانية قد جعلت القتال بالنسبة لنا غاية في الصعوبة، وأنا أذكر قذائف مدفعيتكم الحديدية التي كانت تطير حول آذاننا بالقرب من المطار. إن زملاءكم الألمان يهنئونكم من أعماق قلوبهم لحصولكم على وسام صليب فكتوريا خلال الحرب هم أعداؤكم، ولكن باحترام شديد. "

فون رافن ستين

ملاحظة: الجنرال كامبل لسوء الحظ قُتل في حادث انقلاب سيارته في بلدة بق بق بجوار مرسى مطروح، ولكنه استلم الخطاب، وطبع منه نسخًا عديدة، ووزعها في استلام وسام صليب فكتوريا (أعلى وسام حربي بريطاني).

ثبت أن الفيلد مارشال الأمريكي إيزنهاور يعتنق المبدأ العكسي، وهو عدم لقاء أي جنرال ألماني أسير بصورة ودية، وقد حافظ على هذا المبدأ طوال مدة الحرب إلا لقاءه مع الجنرال جودل كي يوقِّع شروط استسلام ألمانيا للحلفاء في (RHEIMS) بلا قيد ولا شرط، وأسره عام 1945 قائد عام القوات الألمانية في تونس، والذي وقع في الأسر بعد هزيمة بريدة، وقد حاول ضباط أركانه إقناعه باستدعاء الجنرال الألماني فون أرنيم، وهو في طريقه إلى معسكر الأسرى وفقًا للعادة القديمة المتبعة، ولكن إيزنهاور رفض بشدة هذا اللقاء.

وفي الواقع أن مبدأ لقاء القادة الأسرى والمهزومة كان في الأصل يرجع إلى القرن الثامن عشر، فقد كان الجنود المرتزقة ليس بينهم وبين خصومهم أية عداوة، ولذا فهم يقاتلون حبًا في القتل، أو انتظاراً لما سيغدق عليهم من أموال، وكان القائد الأسير يبقى شهوراً أو أسابيع لدى أسره معزَّزًا مكرمًا باعتباره ضيف شرف يستحق التكريم، ولا

شك في أن الفيلد مارشال إيزنهاور يمتاز بالذكاء والنبل، ولديه الاعتقاد أن المنتصرين والمهزومين ينبغي أن يعيشوا وأن يعملوا معًا في العالم نفسه.

وقبل أن يتوفى بقليل الفيلد مارشال الراحل ويفل أرسل إلى السيدة أرملة المارشال الراحل روميل نسخة من محاضراته في فن القيادة، مسجلاً أنه يقصد بها ذكرى قصة الشجاع مثال النبل والشهامة والعبقرية العسكرية الفيلد مارشال إروين روميل.

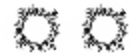

obeikandl.com

obeikandl.com

تجربة حياة

الفيلد مارشال إروين روميل

obeikandl.com

obeikandl.com

علـــى مدار نحو نصف قرن من الزمان منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية، وفي الوقت الذي أفل فيه نجم الكثيرين من القادة العظام الذين شاركوا في هذه الحرب، سطع نجم الفيلد مارشال إروين روميل وذاع صيته، وكيف لا وقد حاز روميل إعجاب أنصار الفريقين الحلفاء والمحور، لا لمجرد مهارته وقيادته التي راح يستلهمها مَن بعده فحسب، بل ولفروسيته وجاذبية شخصيته أيضًا. لقد كان روميل في سماته الشخصية بعثًا لأخلاق فرسان القرون الوسطى، كما كان في براعته ودرايته بفنون الحرب أستاذًا من أساتذة الحروب الحديثة.

ورغم أن هناك من المراقبين من لا يرون في روميل براعة هائلة في تنظيم القوى الحربية، وتحريكها أثناء القتال، وينظرون إليه على أنه قائد ميداني يفتقر إلى الحس الاستراتيجي العالي، والتقدير الصائب للإمدادات اللوجستية التي يحتاجها جيشه، وأنه لا يصلح لأكثر من قيادة إحدى فرق الجيش تتعاظم الآراء التي ترى في روميل الجندي ذا النظرة الاستراتيجية واللوجستية الواضحة التي ينقاد إليها من حوله في خضوع، والقيادة الحكيمة والمتَّزنة للعمليات العسكرية الكبرى، فهو الجندي الذي أظهر اختلافه مع قادته ومعارضةً لسياسات نعدها اليوم غير ملائمة، وكشف تشاؤمه في الأيام الأخيرة من الصراع عن بصيرة وصدق حدس بالنتيجة التي ستؤول إليها الحرب.

لقد تميزت قيادة روميل بالجرأة، واستغلال عامل المفاجأة، والاستعداد لخوض الأخطار، والإحساس البديهي بميدان الحرب، ورغم ما كان يقابله غالبًا من معوقات تتمثل في ضعف الموارد المتاحة مقارنة بخصومه، وافتقاره إلى السيادة الجوية وضعف أجهزة مخابراته مقارنة بأجهزة المخابرات السرية لقوات الحلفاء فقد كانت هجماته ناجحة بفضل دهائه، كما تميز في دفاعه بسعة الحيلة، غير أن الإخفاق الذي صادفه روميل في النهاية كان راجعًا إلى نَواحٍ سياسية واستراتيجية وخارجة عن دائرة

مسؤولياته، ورغم هزيمته التي كانت بسبب غياب الوسيلة إلى تحقيق النصر، ومثل غيره من القادة العظماء الذين صادفوا الهزيمة كهانيبال ونابليون وروبرت إدوارد لي[1] فقد حظي روميل بشهرة فاقت معظم معاصريه.

وقد كان روميل محظوظًا عندما ترك الخدمة كضابط شاب في حرب الخنادق الساكنة على الجبهة الغربية، حيث المواجهة المكانية الجامدة إلى جبهات تسمح بقدر أكبر من الحركة، وإذا كان تَمتُّعُه بالحظوة لدى هتلر قد حقق له قيادة إحدى فرق المدرعات في حملة 1940 على بريطانيا وفرنسا فقد كان يمتلك من الرؤية والقدرة ما جعله ينتقل برجاله إلى الجبهة الأمامية لشن الغارات، وكذلك ترك القتال في سهول روسيا مترامية الأطراف إلى جبهة أضيق نسبيًا، وذلك عندما عمل بشيء من الاستقلالية في منطقة شمال أفريقيا، وكان من حسن حظه أيضًا أن تجنب الحملة الإيطالية غير الحاسمة، وليكون في موقع حاسم حين كان الحلفاء يغزون نورماندي على أن سوء الحظ قد صادفه أيضًا كثيرًا، فبعد أن نجا من الموت مرات عديدة حين كان يقود في المواجهات المختلفة لقي روميل حتفه على يد أحد طياري جيوش الحلفاء، والذي هاجم سيارته التي كانت تسير وحيدة في طريق موحش بين ليفاروت وفيموتييرز، وجاءت إصابته البالغة في توقيت حرج، حيث سبقت محاولة الانقلاب على هتلر في 20 يوليو 1944، وأخرجته من الحركة السرية لإحالته مكان الفوهرر الذي خسر الحرب، وتسبب بحماقته من وجهة نظر روميل في تدمير ألمانيا. لقد كان من سوء حظ روميل، وهو المحارب الذي تمثلت فيه أسمى المبادئ والصفات العسكرية، أن يعمل تحت إمرة سيد بغيض.

وعلى عكس الكثيرين ممن خدموا في المناصب العليا ذات السلطات والمسؤوليات الواسعة بفضل انتمائهم لطبقات اجتماعية عليا، أو بفضل ما حظوا به من تعليم خاص لم يكن روميل ينتمي إلى الطبقة الارستقراطية الإقطاعية البروسية (اليانكرز)، كما أنه

(1) روبرت إدوارد لي قائد عسكري أمريكي قاد القوات الجنوبية في الحرب الأهلية الأمريكية.

لم ينتم إلى الدوائر الداخلية في هيئة الأركان العامة، وكان انتماؤه لأي منهم كفيلاً بأن يسهل له الترقي في مناصب الجيش، بل كان والده وجده مدرسين؛ مدرسي رياضيات في مقاطعة فيرتمبرج، في حين كانت والدته تنتمي إلى أصول نبيلة. ولد روميل في هيدنهايهم بالقرب من أولم، في الخامس عشر من نوفمبر 1891، في أسرة لها خمسة أطفال، وكان قليل الحجم بالنسبة لسنه هادئ الطباع، وقد تمكن من اجتياز كافة اختباراته رغم أن درجاته كانت مرتفعة، ورغم ما كان يتمتع به والداه من احترام وتقدير فإنهما لم يحظيا بأصدقاء واسعي النفوذ، ومع ذلك فقد دخل روميل الجيش في التاسع عشر من يوليو 1910، حيث التحق أولاً بالكتيبة 124 مشاه في فينجارتن كطالب مستجد يتم تدريبه ليصبح ضابطًا بالقوات المسلحة (كاديت)، وبعد ترقيته إلى رتبة عريف في أكتوبر، ثم إلى رتبة رقيب في ديسمبر تقلد منصب ضابط بالجيش في مارس من عام 1911 في الأكاديمية الحربية في دانزينج، حيث التقى بلوتشيا ماريا مولين التي أصبحت فيما بعد زوجته.

تلقى روميل تدريبه في كتيبته كملازم ثان، حيث أظهر اهتمامًا بكافة النواحي العسكرية، وجدية في أداء مهامه، وكفاءة عالية في التدريب، كما تميز بميله إلى الإنصات إلى الآخرين، وترك التعصب إلى وجهة نظر بعينها، وأقام علاقة تتسم بالسلاسة مع جنوده، دون تهاون مع أي إهمال أو لا مبالاة في أداء المهام المكلَّف بها. لقد كان روميل عسكريًا معتدل المزاج، محبًا للعمل، ملتزمًا بأدائه بعناية على خير وجه، ولقد التحق روميل بكتيبة المدفعية الميدانية 49 في أولم في الأول من مارس 1914، ثم عاد إلى المشاة إثر نشوب الحرب العالمية الأولى.

وقد كشف القتال عن صفات أصبحت علامات تميز أداء روميل العسكرية في أول عمل عسكري في الثاني والعشرين من أغسطس أثناء تقدم الألمان نحو مارن، وخرج روميل مع فصيلته في مهمة استطلاعية بالقرب من لونجوى، وكان الجو وقتها شديد الضباب.

وفي الرابع والعشرين من سبتمبر أصيب روميل في فخذه، وذلك بالقرب من فارن، عندما هاجم ثلاثة جنود فرنسيين في غابة رغم خلو بندقيته من الذخيرة، وتلقى نوط الصليب الحديدي من الفئة الثانية، وبعد شفائه قاد فصيلته في التاسع والعشرين من يناير 1915 خلال الأسلاك الشائكة إلى موقع فرنسي، حيث استولى على أربعة منازل، وتمكن من رد هجوم مضاد قامت به كتيبة فرنسية، ثم انسحب، ولم يخسر من رجاله سوى عدد يقل عن عدد أصابع اليد، ومرة أخرى تقوده جرأته على الاختراق واستقلاليته في اتخاذ قراراته إلى تحقيق نتائج ملموسة، واستحق روميل نوط الصليب الحديدي من الفئة الأولى عن أعماله.

وبعد ترقيته إلى رتبة ملازم أول أصيب روميل مرة أخرى في ساقه، وبعد شفائه نقل في العاشر من أبريل 1915 إلى فيتمبرج ـ وحدة جبلية في طور التكوين ـ وكانت الكتيبة تتألف من ست سرايا من حملة البنادق، وستة من حملة المدافع الرشاشة، والتي تم تجميعها في تشكيلات مختلفة كفرق مهام خاصة، وفي هذه المهمة تحقق لروميل الوعي التام بأساليب التحرك، ونقل ميدان القتال بين الجبهات المختلفة.

وبعد تدريبات مكثفة على منحدرات النمسا تم نقل الكتيبة إلى جبال فوج الفرنسية، والتي كانت جبهة هادئة نسبيًا، وفي نوفمبر 1916 حصل روميل على إجازة تزوج أثناءها من لوتشيامولين في دانزينج، ومع نهاية العام انتقلت الكتيبة إلى رومانيا، حيث انضمت إلى فيلق الألب، وهو الفيلق الذي يضم قوات الحرب الجبلية.

على أن أداء روميل تجسد أكثر ما تجسد في عمليتين هجوميتين حققتا نجاحًا رائعًا، ففي يناير 1917 تسلل مع رجاله على مواقع للعدو خلال المياه المثلجة ليلاً حتى وصل إلى قرية جاجستي، حيث فتح النار على القرية، وتمكن من أسر 400 شخص، وفي أغسطس وبرغم إصابته في ذراعه فقد قاد أربع سرايا من كتيبته في صف واحد عبر الغابة، حيث استطلع موقعًا للعدو بالغ التحصين في مونت كوسنا، وهاجمه، واستولى عليه.

وقد ظهرت أعظم مآثره وبطولاته في الحرب العالمية الأولى في إيطاليا، حيث تم نقل كتيبته كجزء من الجيش الرابع عشر الألماني لمساعدة النمساويين في هجوم الخريف على آيزوتتسو، لقد كانت مهارة روميل وجرأته عندما استولى على الموقع الإيطالي في مونت ماتجور في نهاية أكتوبر هي التي حوَّلت معركة كابوريتو إلى كارثة إيطالية لقي فيها الإيطاليون هزيمة نكراء، حيث وقع منهم 250000 أسير.

ورغم أن روميل واصل تقدمه على مدى خمسين ساعة دون راحة فقد استسلم لجسارته على الإقدام 150 ضابطًا و9000 جندي، و81 مدفعًا، ولكل هذا استحق روميل نوط التميز، والذي يمنح لكبار الجنرالات، كما تمت ترقيته إلى رتبة كابتن أو نقيب.

وبعدها بفترة قصيرة قاد روميل ستة من رجاله، وسبح في نهر بياف خلال ساعات الليل، ثم قام رجاله الذين لم يزيدوا على عدد أصابع اليد بفتح النار على قرية لونجارون من مواقع متفرقة، بعدها سار روميل في جسارته في القرية مطالبًا حاميتها، والتي أذعنت له بالاستسلام.

كان هذا أخر ما قام به من نشاط على جبهة القتال، وبعد فترة إجازة غاب خلالها عن الساحة عاد روميل للخدمة في مهام متعلقة بأركان الحرب، وكان قبل هذا قد بنى شهرته كقائد عسكري بفضل جرأته وإقدامه، وقدرته على الاستفادة من عنصر المفاجأة، وهي القدرة التي أذاعت صيته وتفوقه رغم أنه لم يكن بعد سوى ضابط صغير.

وقد كان روميل أحد أربعة آلاف ضابط نظامي، وهو العدد الذي سمحت به معاهدة فرساي، كما ترقى في المنصب فيما بعد خلال عملية إعادة توسعة الجيش الألماني، وخلال سنوات ما بين الحربين تعلم روميل كافة الأعمال التدريبية والإدارية بالجيش، كما ترقى في سلم الرتب، وتولى مسئوليات متزايدة أداها جميعًا بكفاءة عالية،

وقد شهد له زملاؤه بالتفاني الشديد في أداء عمله، والتفوق في كافة النواحي المتعلقة بالحياة العسكرية، وقدرته على بعث التفاني في جنوده.

وفي 1 أكتوبر 1929 عُيِّن روميل مدرسًا في مدرسة المشاة في دريسون، وخلال رحلته التي استمرت أربعة أعوام ألَّف كتابًا بعنوان "هجمات المشاة"، وفيه بيان بملاحظاته وخبراته العملية، وقد طبع من هذا الكتاب 400000 نسخة بيعت جميعًا في ألمانيا قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، والذي حقق له ظهوراً واسعًا في الدوائر العسكرية، واجتذاب إعجاب أدولف هتلر.

وفي العاشر من أكتوبر 1933 تَرقَّى إلى رتبة (ميجور)، حيث صار قائدًا للكتيبة الثالثة ـ الكتيبة 17 مشاة ـ إحدى الوحدات الجبلية التي كانت تتدرب في جوسلر وبعدها بسنتين، وبالتحديد من الخامس عشر من أكتوبر 1935، تَرقَّى إلى رتبة (ليفتنانت كولونيل) مقدم، وصار مدرسًا في الكلية الحربية في بوتسدام، وتَرقَّى في 1937 إلى رتبة عقيد (كولونيل)، وكانت مهمته التالية إدارة الكلية الحربية في فينرنستدات منذ التاسع من نوفمبر 1938، غير أنه كان ينشغل بين الحين والآخر بمهام مؤقتة يُكَلَّف فيها بقيادة كتيبة الأمن المعنية بحماية هتلر، وقد رافق الفوهرر في سودتنلاند في تشيكوسلوفاكيا في أكتوبر 1938 وبراغ في 19 مارس 1939.

وفي الثالث والعشرين من أغسطس تَرقَّى روميل إلى رتبة ميجور جنرال (لواء)، ونقل إلى مقر هتلر، حيث اضطلع بمسؤولية سلامة الفوهرر، وعندما غزت المانيا بولندا كان روميل في موقع مراقبة الحملة من مستوى القمة، ثم انتقل إلى وارسو في الخامس من أكتوبر بعد استسلام البولنديين بأسبوع واحد.

وبعد عودته إلى برلين، انضم روميل إلى حاشية هتلر، رغم عدم اهتمامه بالسياسة، وقد لقى روميل استحسان هتلر، وكان إنكار هتلر للبنود الواردة في اتفاقية فارساي، والتي تحول دون توسعة الجيش قد حولت فتور العلاقة بين أفراد الجيش وهتلر إلى

تعاطف هائل، كما كان لسعيه لاستعادة ألمانيا لقواتها ومكانتها في العالم دوره في توطيد الحب الجارف والثقة الهائلة التي أبداها الألمان تجاه هتلر، ورغم ذلك فقد كان روميل أحد القلائل من بين أولئك الذين آمنوا بهتلر، وكان لهم تحفظات شديدة بشأن النازيين المحيطين به.

أما من جانب هتلر فقد كان يكن له الإعجاب، وذلك لأن روميل لم يكن من طراز اليونكرز البروسي الأريستوقراطي الذي يثير القلق في نفس هتلر، إضافة لكفاءته وتفانيه في أداء المهام المكلف بها، ولما كان هتلر على دراية بسجل روميل العسكري والمواجهات الحربية التي خاضها في الحرب العالمية الأولى فقد سأله عن الوظيفة التي يريد توليها، فما كان من روميل ـ والذي قد رأى أن الحرب الخاطفة في بولندا تثبت فعاليتها ـ إلا أنه تمنى عليه بالعمل في فرقة مدرعات، فما كان من هتلر إلا أن يجيبه إلى طلبه.

وفي الخامس عشر من فبراير 1940، اضطلع روميل بقيادة فرقة البانزر (المدرعات الألمانية) السابعة، ومركزها في جودسبرج على نهر الراين، وكان قد بلغ من العمر حينها 48 عامًا، وقبل أن يمر عليه ثلاثة أشهر صار على دراية بأقسام وحداته العسكرية وأفراد فرقته، وكيفية استخدام ما تمتلك يده من أدوات، ولقد كان أكثر ما يشغل روميل هو تقنيات التحرك، وكان سعيداً أيما سعادة بالسرعة الكبيرة والمدى الواسع الذي تتميز به الدبابات، وعندما انتهت الحرب الخاطفة في الغرب نهاية طاحنة في 10 مايو 1940 كانت فرقة روميل متأهبة لاجتياح خطوط الأعداء.

لقد كان روميل يرى في قيادة الفرقة أسمى درجات التنظيم والتوجيه، حيث يقيم القائد جسور الألفة في أثناء القتال، ولذا فبدلاً من توجيه القوات من مركز القيادة في مؤخرة الجيش كان روميل يفضل أن يقود قواته من المقدمة، وكما كتب فيما بعد: "هناك لحظات لا يكون مكان القائد فيها في الخلف مع أركانه، بل في المقدمة مع قواته، فمن الهراء أن نقول أن رفع الروح المعنوية للجنود هي مسؤولية قائد الكتيبة وحده، فكلما علت رتبة القائد كان الأثر الذي يحدثه في النفوس أبلغ، فالجنود لا تميل إلى

الارتباط بالقائد الذي تعرف عنه أنه يظل قابعًا في مكتبه، فهم إنما ينشدون ما يمكن أن نصطلح على تسميته بالاتصال المادي بالقائد، ففي لحظات الخوف أو الإرهاق الاضطراب، أو عندما يطلب من الجنود القيام بمهام خارقة يصبح للنموذج الشخصي للقائد مفعول السحر في نفوس الجنود، خاصة إذا كان يملك ملكة القدرة على صنع هالة أسطورية حول شخصيته " .

لقد كان روميل دومًا في طليعة الجيش يخوض أغوار المعارك وسط جنده، حتى أنه ليصف في مذكراته عن حملة 1940 في صراحة لا تفتقر إلى التواضع المخاطر التي تعرض لها بشخصه، ومنها أنه كاد أن يقتل في دبابته مرتين على الأقل، وذلك أثناء دفعه وحدات فرقته لشن هجوم حاسم يضغط به على مؤخرة الجيوش المعادية، مستغلاً عنصر المفاجأة ليشيع فيهم الاضطراب، وهو ما يؤدي في النهاية إلى شل حركة أعدائه، وكان يرى أن الهجوم إذا فشل فإنما يعود الفشل إلى التراخي في تنفيذ المهام .

وهكذا وبفضل النجاحات الطاغية التي حققها والسرعة المذهلة التي تميز بها، ووجوده في ساحات المعارك وسط جنده من وقت لآخر على نحو غير متوقع صار التشكيل الذي يقوده روميل يعرف باسم " فرقة الشبح " ، بل وعرف روميل نفسه باسم " فارس النبوءة " ، وقد جعلت منه الحملة بطلاً شعبيًّا في ألمانيا .

كما نجحت حملة سيشلشنت، والتي بدأت هجماتها في 10 مايو منطلقة عبر إقليم الأردن متجهة نحو البحر في دحر القوات الفرنسية والبريطانية في بلجيكا، وفيها كان روميل في طليعة جيشه متجهًا غربًا عبر الجزء الشمالي من حدود لوكسمبورج دون أن يعرقل مسيرته أحد، ثم مخترقًا الحدود البلجيكية على الحدود على بُعد حوالي 30 ميلاً جنوب ليج مكتسحًا مقاومة بسيطة اعترضت طريقه .

وفي صبيحة الحادي عشر من مايو عبر روميل نهر أورز، حيث شتت شمل المقاومة الفرنسية التي واجهته حتى صار على ضفة نهر موز بالقرب من دينو، وذلك بعد ظهر

يوم الثالث عشر من مايو، وقد واجه صعوبات جمة في اجتياز النهر، لكنه قبل صُبيحة يوم الثالث عشر من مايو تمكن من العثور بنفسه على طريق عبر أحد السدود، وهو ما ساعده على عبور النهر لتكون فرقته أولى الفرق التي تصل إلى الضفة الأخرى البعيدة من النهر، حيث أقام قاعدة عسكرية لتأمين تقدمه على بُعد ميلين، وذلك عند مطلع فجر يوم الرابع عشر من مايو، ثم أسرع بالتقدم نحو الجنوب الغربي في اتجاه فيليب فيل، فقد أزاح من طريقه حامية فرنسية صغيرة في الخامس عشر من مايو، ومن ثم تمكن من اختراق امتداد خط ماجنو بالقرب من سيفري، وبذلك بدأ في التوغل في الأراضي الفرنسية، حيث استولى على مدينة أفني، والتي كانت تبعد عنه اثنى عشر ميلاً مع الساعات الأولى ليوم السابع عشر من مايو.

ثم اتجه بقواته بدون توقف تجاه الغرب نحو لاندريسيز، حيث عبر نهر سامبر عبر أحد الكباري الذي لا يزال حتى الآن موجوداً، ثم واصل المسير لمسافة 8 أميال حتى وصل إلى لوكاتو، حيث استولى عليها في السابع عشر من مايو، وكان روميل قد قطع خلال يومين مسافة 50 ميلاً، ثم استمر في تقدمه تجاه الغرب، وحاصر كامبراي، واستولى عليها حتى وصل إلى أراس يوم 20 مايو، حيث دخل في معركة لمدة ثلاثة أيام للاستيلاء عليها.

وفي الحادي والعشرين من مايو قامت قوة بريطانية صغيرة من الدبابات وبعض جنود المشاة مدعومة مجموعة من القوات الفرنسية بمهاجمة القوات الألمانية بقيادة روميل، وتسببت في أزمة سرعان ما تغلب عليها بفضل قيادته الديناميكية، غير أن هذا الهجوم بث الإحساس بالخطر في قلب القيادة الألمانية، وهو أحد العوامل التي دفعت هتلر وراندستد إلى اتخاذ القرار بوقف تقدم فرقة المدرعات.

وعندما ألغى هتلر القرار في السادس والعشرين من نفس الشهر تقدم روميل بفرقته نحو الشمال، ثم التف باتجاه الشمال الشرقي، ووجه ضرباته باتجاه مدينة ليل الفرنسية

حتى وصل إلى الضواحي الغربية من المدينة، وأغلق الطرق المؤدية إليها، وهو ما عجَّل بسقوط المدينة، وبعد أن وقع في يد روميل أكثر من 10000 أسير ومائة دبابة و27 مدفعًا صدرت الأوامر بالتوقف، وإعادة تنظيم القوات، وبالفعل قام روميل بسحب قواته لالتقاط الأنفاس، وإعادة التنظيم وطلب الإمداد، ثم صدر الأمر بسفر روميل للقاء الفوهرر في الثاني من يونيو الذي قابله بترحاب وبشاشة، وهو يقول له: "روميل لقد كنا في غاية القلق والخوف عليك أثناء الهجوم الذي تعرضت له قواتك".

في ذلك الحين كان الجيش الألماني قد دار للإجهاز على الجيش الفرنسي الذي دب فيه الضعف، وفي الساعات الأولى من الخامس من يونيو عبر روميل وفرقته (الفرقة السابعة مدرعات) منطقة السوم بين آبفيل وأميون، حيث اجتاز في طريقه أحد الجسور الذي لا يزال قائمًا حتى الآن، وعلى مدار أربعة أيام غطى روميل مسافة 60 ميلاً حتى وصل إلى ضفة نهر السين عند إلوف بالقرب من روي، وهناك في العاشر من يونيو قطع مسافة 60 ميلاً باتجاه الشمال الغربي حتى وصل إلى الساحل بين فيكامب وسان فاليري أون كو، حيث أعد كمينًا لقوات بريطانية وفرنسية تقوم بعملية إنزال، وفي الثاني عشر من يونيو استسلم حوالي 20000 جندي من هذه القوات – على اختلاف في الروايات – وقد قال له جنرال فرنسي كان بين القوات المستسلمة: "إنك تباغتنا بسرعتك التي لا طاقة لنا بها".

وبعد مرور ثلاثة أيام عاد روميل ليعبر نهر السين، وليستأنف تقدمه تجاه الجنوب والغرب، وكان هدفه هذه المرة هو شوربورج، لذا فقد زحف بقواته خلال أيفرو وفالايز ومليز إلى كوتانسي قبل أن يدور باتجاه الشمال إلى لاهاي دوبوي، واقترب روميل من المدينة الساحلية، وكانت سرعة القوات تتراوح بين 20 : 30 ميلاً في الساعة لتغطي أكثر من 200 ميل في يومين، وكان تقدم مسافة 150 ميلاً في يوم واحد هو أقصى مسافة تمكن قائد عسكري من قطعها في يوم واحد حتى ذاك الحين.

وفي السابع عشر من يونيو وصل روميل إلى ضواحي شيروبورج في الوقت الذي كان

المارشال فيليب بيتان يريد التوصل إلى هدنة، وقد قَبِلَ روميل استسلام 30000 شخص باستسلام الحكومة الفرنسية في 19 يونيو.

انتقل روميل بعد ذلك صوب الجنوب إلى رين، والتي وصلها في الحادي والعشرين من يونيو ليواصل سيرته إلى الحدود الإسبانية للاستيلاء على الساحل الفرنسي للمحيط الأطلسي، بعد ذلك تراجع بفرقته إلى منطقة بوردو لمهام احتلالية.

وفي حملة استمرت ستة أسابيع وقع في يد روميل عدد هائل من الأسرى وصل إلى إجمالي 100000 جندي، وأكثر من 450 دبابة، في حين لم تزد الخسائر عن 682 قتلى، و1646 جرحى، و296 مفقودين، و42 دبابة. إن قائداً عسكرياً لم يشن حرباً خاطفة بمثل هذا الاتزان وهذه السرعة، والتأكد من تحقيق النصر كما فعل روميل، لقد عمت صور روميل كل ربوع ألمانيا، وصار اسمه تتناقله الألسنة.

وعلى الرغم من الدور الكبير والملحوظ الذي لعبه روميل في الحرب فإنه تأخر ستة أشهر حتى تمت ترقيته في يناير 1941 إلى رتبة "ليفتنانت جنرال" فريق، بعدها توجه في مغامرته في شمال أفريقيا التي ارتبط بها اسمه إلى الأبد، فقد أظهر روميل قدرته على إحداث نتائج مذهلة وغير متوقعة في ظل بيئة قاسية، ومن بين صعوبات أخرى كالعواصف الرملية، والمساحات الشاسعة، وتباين شديد في درجات الحرارة، وظروف غذائية سيئة عانى منها جنوده كثيراً، ونقص في الوقود والذخيرة، وقوة صغيرة نسبياً، لقد غيرت المهمة الجديدة نظرة روميل من نظرة تكتيكية حربية إلى منظور استراتيجي أشمل.

لقد كانت الأحداث على النحو التالي: بعد الحملة الإعصارية في غرب أوروبا، وإجلاء قوات التحالف من القارة الأوروبية، لاسيما في دانكريك، واستسلام فرنسا شنَّ هتلر معركة بريطانيا في كل الميادين التي لها وجود بها استعداداً لغزوها، ولما كانت مواجهة الخصم وجهًا لوجه تقترب فقد فتح بنيتو موسوليني الذي دخل الحرب إلى

جانب هتلر في الهجوم على فرنسا جبهة جديدة، فقد تقدم جيشه الذي يقارب المليون جندي في ليبيا نحو مصر في سبتمبر 1940 ليواجه نحو 30000 جندي بريطاني، وكان الهدف الواضح هو الاستيلاء على مجرى قناة السويس، وبعد نجاحات أولية غير حاسمة توقف الإيطاليون عن زحفهم، ومع نهاية أكتوبر فتح موسوليني جبهة جديدة للحرب بغزو اليونان التي واجه فيها مقاومة بالغة.

وفي شمال أفريقيا حقق الهجوم البريطاني المضاد في التاسع من ديسمبر نجاحات وانتصارات مذهلة أدت إلى طرد الإيطاليين من شرق ليبيا، وعندما استنجد موسوليني بهتلر أرسل إلى إيطاليا وحدات من البحرية لمساعدة القوات البرية الإيطالية، ولحماية قوافل المحور في البحر المتوسط، وفي فبراير وضع هتلر تحت تصرف موسوليني فيلق أفريقيا الذي يتألف من فرقتين ألمانيتين جاهزتين للوصول على مراحل، ولتصبح في كل قوتها وعتادها قبل نهاية شهر مايو، كان المسئول عن هذه القوة الألمانية هو الضابط المرقَّى حديثًا روميل، والذي كان مطلوبًا منه أن يعمل تحت إشراف إيطالي، وأن تعمل تحت إمرته فرقتا مدرعات إيطالية، كانت مهمة روميل دفاعية أساسًا للحيلولة دون طرد الإيطاليين من شمال أفريقيا، وهو ما كان يخالف ميول ونزعة روميل.

وعندما وصل روميل طرابلس في الثاني عشر من فبراير 1941 كانت ليبيا قد سقطت تقريبًا في يد البريطانيين، ففي أقل من شهرين استولى البريطانيون على طبرق ودرنة وبنغازي عاصمة النصف الشرقي لليبيا (سيرنيكا)، والعقيلة التي تمثل مدخل طرابلس لقد تقدم البريطانيون حوالي 400 ميل تقريبًا صوب الغرب من قواعدهم، وسقط في أيديهم خلالها 130000 جندي إيطالي، و1300 مدفع، و400 دبابة، وعلى الرغم من أنه كان بمقدور الجنرال سير أرشيبالد ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط التوغل صوب طرابلس والاستيلاء عليها فقد جاء قرار الحكومة البريطانية بالتدخل في اليونان ليحرمه من أحد فيالقه، وليجبره على وقف هجماته، وهو ما كان غائبًا عن المحور، ولذا فلقد استنجد الإيطاليون بروميل لإنقاذهم.

كان روميل يفكر في أمور أكبر من المهام المكلف بها، ونظراً لإصراره فقد أفرغت الوحدات الألمانية الأولى القادمة إلى ليبيا حمولتها بسرعة في الظلام، وتحت أضواء الكشافات أمر روميل ضباطه بالحيلولة دون دخول الإنجليز طرابلس، غير أن الموقف ظل مستقراً بفضل بقاء البريطانيين في مواقعهم دون تقدم.

وفي التاسع عشر من مارس سافر روميل إلى مقر الفوهور، حيث تلقى ميدالية ورق السنديان لصليب الفارس تقديراً لأعماله في فرنسا، وعرف منه ظروف عمله، لم يكن روميل ينتظر الحصول على تعزيزات، كما أن هتلر لم يكن ينوي توجيه ضربة حاسمة في شمال أفريقيا في المستقبل القريب. بعد يومين تلقى روميل أوامر بإعداد خطة لغزو شرق ليبيا، ووفقًا لكافة التوقعات لم يكن من الممكن أن يقوم روميل بأي غزو حتى تصل الفرقتين الألمانيتين كاملتين قبل بداية يونيو، غير أن روميل مستغلاً عنصر المفاجأة كما قال هو نفسه فيما بعد في بيان له: "لقد خاطرت رغم الأوامر والتعليمات الصادرة؛ لأن الفرصة كانت سانحة حينها". لقد تنبأ روميل أن المشكلة العظمى التي تواجهه تكمن في التغذية المستمرة لقواته؛ لأن القوات البريطانية من خلال اعتراضها للإشارات الألمانية بالغة السرية ـ وهي الحقيقة التي لم يكن يدركها روميل ـ دأبت على تدمير الكثير من وسائل النقل الخاصة بالمحور في البحر المتوسط، ومع وجود المخزون الكافي من الإمدادات المتوافرة حينها شن روميل غاراته المباشرة.

بدأت هجمات روميل في الحادي والثلاثين من مارس 1941، وسرعان ما تحول ما بدأه كحملة استطلاع إلى هجوم شامل أجبر روميل الإنجليز على التخلي عن العقيلة وترك بنغازي، ومع حلول شهر أبريل كان روميل مسيطراً على جميع مناطق شرق ليبيا باستثناء طبرق التي استعصت عليه، رغم أنه تمكن من عزلها، حيث صار على الحدود المصرية، غير أن روميل لم يعد بمقدوره التقدم؛ لأن إمدادات قواته قد نفدت، وبالنسبة للجنرال ويفل الذي كان قد شن هجمات في يونيو من غير طائل على قوات روميل بضغط من تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، فقد كان يمكن القول أن القوات

البريطانية لم تكن متورطة فقط في شمال أفريقيا، بل وفي اليونان وسوريا وبقاع أخرى في أفريقيا.

أما روميل الذي ترك العالم يتحدث عن انتصاراته فقد صار الآن قائداً لفيلق البانزر في أفريقيا، والذي يتالف من فرقتين ألمانيتين، وأربع فرق مشاة إيطالية، وفرقتي مدرعات إيطالية مصبوغة جميعًا بنزعة روميل وروحه الهجومية، ولقد فاقت سمعة روميل الأفق، حتى أن سير كلود أوكنلك الذي حل محل ويفل في يونيو 1941 نصح ضباطه قائلاً: "إننا نتحدث كثيراً عن الصديق روميل"، فقد كان يأمل أن يتحدث جنوده عن روميل لا كساحر أو جني، بل كمجرد جنرال ألماني عادي، وهو ما لم يكن عليه الأمر.

في 18 نوفمبر 1941 شن أوكنلك هجماته التي عرفت باسم (كروسيدر) أو (الصليبي)، والتي أجبرت روميل الذي كان لا يزال يعاني من نقص الإمدادات على التراجع قبل نهاية الشهر، لقد اختار روميل التخلي عما كسبه من أرض لإنقاذ أرواح جنوده، وبسبب افتقاره للذخيرة والتعيينات الأساسية، فقد تخلى عن بنغازي قرب أعياد الميلاد، ومع تراجعه وتخليه عن أرض كل فترة وصل روميل في الثاني عشر من يناير إلى خط دفاعي (مرسى البريقا)، وفي تقهقره الأخير لم يتعرض روميل لخسائر في الأرواح أو العتاد، لكن معركة "كروسيدر" ككل كبدته خسائر تصل إلى 340 دبابة، وحوالي 38000 جندي ما بين قتيل وجريح ومفقود.

ثم أرسل هتلر المارشال ألبرت كيسلرينج وقوة جوية كبيرة إلى إيطاليا، ونظراً للتفوق الجوي الذي حازه كيسلرينج على أجواء البحر المتوسط فقد تزايدت أعداد سفن المحور القادمة إلى روميل، وفي الخامس من يناير 1942 وصلت قافلة إلى طرابلس تحمل دبابات ومدافع وإمدادات، وبعد أن صار تحت إمرته جميع فيلق أفريقيا، والذي يتألف من جميع القوات الألمانية في شمال أفريقيا وقوامها فرق 15 و21 مدرعات، والفرقة 90 الخفيفة، بالإضافة إلى القوات الإيطالية في شمال أفريقيا قرر روميل شن هجوم جديد

قبل أن يدرك أحد سواء من الإنجليز والألمان أنه صار مستعدًا، ولذا فقد أصدر أوامره في اليوم السابق على الهجوم لدواعي السرية.

تحرك روميل بقواته عشية الثاني والعشرين من يناير متقدمًا مسافة 30 ميلاً صوب العقيلة وما بعدها، وخلال أسبوع كانت بنغازي قد سقطت، وأعقبها بيومين سقوط درنة، ومثلما كان الحال مع بداية العام السابق فقد قاد الهجوم الذي شنه إلى تدمير وحدات وتشكيلات القوات البريطانية التي كانت تعاني من وقوعها تحت قيادة متخلفة، وهو ما رفع من معنويات روميل ورجاله أكثر وأكثر في مقابل انهيار الروح المعنوية لأعدائه، وقبل نهاية شهر يناير 1942 استولت الحملة على نصف المنطقة الشرقية لليبيا، وأعادت للموقف اتزانه مرة أخرى، في الوقت الذي كان فيه الجيش الثامن البريطاني يقوم بأعمال الحفر على طول "خط الغزالة"، وهو عبارة عن منطقة حقول ألغام ومواقع تحصين ممتدة من البحر المتوسط وحتى بير حكيم.

كلا الفريقين الآن أعد خططًا هجومية، روميل دفع أوكنلك لمهاجمته في الصحراء دون تأخير من جهته للظفر بالمجال الجوي في غرب ليبيا، والتي منها يمكن للطائرات أن تغطي الطرق البحرية للقاعدة البريطانية الهامة في جزيرة مالطا، ومن جانب أوكنلك فكان يدرك تمامًا مدى ما تعانيه جيوشه المختلطة من بلدان الكومنولث البريطاني من الضعف التقني والافتقار إلى التدريب، ولذا فقد كان يتمنى المزيد من الوقت حتى يتحقق له بناء تفوق كاسح، وفي النهاية ونظرًا للأوامر المباشرة الصادرة من لندن فقد تحدد موعد الهجوم البريطاني ببداية شهر يونيو، غير أن روميل بادر بالهجوم في السادس والعشرين من مايو، لقد كانت استراتيجية المحور ـ حسب ما هو متفق عليه بين هتلر وموسوليني ـ قائمة على ضرورة أن يهزم روميل الجيش الثامن البريطاني، ويتقدم إلى الحدود المصرية، وذلك لتحييد الجيش البريطاني هناك، وهنا يجب أن يتوقف روميل، ولتتحول جهود المحور إلى جزيرة مالطة للاستيلاء عليها، وبالتالي إنهاء عمليات قطع الإمدادات المحمولة بحرًا إلى روميل التي تقوم بها البحرية الملكية والقوات

الجوية الملكية البريطانية عبر البحر المتوسط، ولكن لسوء حظ روميل تم تأجيل عملية الاستيلاء على مالطة.

ثم تأتي عملية فينيسيا، وهي الهجوم الذي وجَّهه روميل ضد الجيش الثامن في خط الغزالة، والتي شهدت قمة الأداء من قبل روميل كقائد ميداني يتمتع بجرأة وإقدام رغم الظروف بالغة الصعوبة، ولقد تحقق له النصر بفضل سرعة بداهته، وذكائه في استغلال الفرص، وقيادته لجيشه من المقدمة في مقابل البطء، وإطالة التفكير، ونظام القيادة البريطاني البعيد عن ميدان المعركة، وعندما فشلت خطته الأولى بالدوران جنوب بير حكيم والإغارة شمالاً باتجاه البحر، وبالتالي عزل الجيش الثامن أسرع بإنشاء "رأس كوبري" خلال حقول الألغام البريطانية في مركز خط الغزالة من جهة الشرق؛ أي من الجانب البريطاني، وبعد أن اتخذ ساتراً في رأس الكوبري الذي أقامه خلف حاجز مضاد للدبابات تمكن من ردع الهجمات المضادة البريطانية المفتقدة إلى التنسيق، ثم أغار على الحامية العسكرية للخط من جنود المشاة شيئًا فشيئًا حتى قضى عليها بما في ذلك الحامية التابعة لجيش فرنسا الحرة في بير حكيم.

وفي الحادي والثاني عشر من يونيو 1942 خاض معركة بالدبابات جنوب طبرق في موقع صحراوي (الغزالة) كان البريطانيون قد أغاروا عليه في هجوم غير محكم، إلا أن روميل تمكن من إنزال خسائر بهم وصلت إلى 260 دبابة، بما يعني أنه قضى تمامًا على الجيش الثامن البريطاني، وفي الحادي والعشرين من يونيو، وفي هجوم مفاجئ تمكن من الاستيلاء على قلعة طبرق شبه المهجورة، والتي كان أوكنلك قد بناها بإلحاح من تشرشل بعد أن سقط في يده أكثر من 30000 أسير، وقد وصلت الأخبار إلى تشرشل، بينما كان في ضيافة الرئيس الأمريكي روزفلت في البيت الأبيض في لحظة قاسية رسخت داخل تشرشل مخاوفه تجاه روميل التي طالما استبدت به وزادت من رغبته الشديدة في الإيقاع به، ثم أصدر هتلر أمره بترقية روميل ليصبح أصغر فيلد مارشال في الجيش الألماني.

والآن وبعد أن صار روميل قائد فيلق مدرعات أفريقيا على الحدود المصرية، وطبقًا للاستراتيجية العامة المتفق عليها فإن هذه الحدود هي المكان الذي ينبغي عليه التوقف عنده كي تتركز كافة الموارد على مالطا، إلا أن النصر المذهل الذي حققه روميل في معارك خط الغزالة أغرته ـ وهتلر وموسوليني ـ بمحاولة احتلال مصر، ومن ثم باقي بلدان الشرق الأوسط، وبدأت تظهر على الأفق رؤى ربط القوات الألمانية في شمال أفريقيا بتلك التي في جنوب روسيا، أو التوغل شرقًا إلى الهند، ولذا قاد روميل جيشه المنهك والذي فقد منه الكثير في مطاردة صوب الإسكندرية، غير أن روميل اندفع وراء الجيش الثامن البريطاني الذي وصلته مؤخراً تعزيزات تحت قيادة فيلد مارشال أوكنلك قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط، وذلك في الأول من يوليو 1942 في المنطقة بين العلمين ومنخفض القطارة، لكن هجمات روميل أخفقت أمام نيران المدفعية البريطانية المركزة، وفي التاسع من يوليو كرَّر أوكنلك هجومه المضاد والمدمر بطول الطريق الساحلي من خلال الفرقة التاسعة الإسترالية التي كانت قد أقصت فرقة صبراته الإيطالية وهزمتها هزيمة نكراء، بعدها شن أوكنلك هجمات مضادة متكررة موجهة بالضبط إلى التشكيلات الإيطالية والألمانية تحت قيادة روميل، وذلك بفضل نجاح الإنجليز في فك شفرة إشارات جيوش المحور، وقبل منتصف يوليو كان على روميل أن يستخدم قواته الهجومية جميعًا لمحاولة توحيد وإعادة التمسك إلى جبهته، وقد كتب روميل إلى زوجته: " لا يمكن للأمر أن يستمر على هذا النحو طويلاً وإلا انهارت الجبهة، لقد كانت هذه الفترة أقسى فترة خضتها في حياتي العسكرية " .

لذا لم يكن بوسع روميل اختتام انتصاراته العظيمة التي أحرزها في الصيف بنصر حاسم، وفي سبتمبر حيث وصلت الجيش الثامن تعزيزات كبيرة حاول مرة أخرى، لكنه لقي هزيمة ساحقة في معركة علم حلفا على يد القائد الجديد للجيش الثامن الفريق سير برنارد مونتجومري الذي رفض التورط في معركة متحركة بالدبابات والمدرعات، وفضل الدخول في معركة برية ثابتة بقواته التي أحسنت اتخاذ مواقعها، ويحميها التفوق

الجوي للقوات الجوية الملكية، وفي هذا الوقت أحبِطَت جهود روميل بسبب احتياجه الشديد للوقود والضروريات الأخرى، وقد لخص فيما بعد الموقف في عبارته المليئة بالإحباط: "إنما تكمن المشكلة في التخبط، والمبالغة في التنظيم الذي اتسمت به أركان الإمدادات الإيطالية".

وبسبب الإرهاق البدني الشديد، وإحساسه بالضعف الذي بدأ ينهك قواه، ومعاناته من صعوبات في المعدة، وتضخم الكبد، ومشاكل بالجهاز الدوري، فضلاً عن شعوره بالإحباط الشديد نتيجة عدم القدرة على حل مشكلة ضمان وصول إمدادات بصفة ثابتة إلى قواته، وتطرق الشك إلى نفسه في إمكانية تحقيق نصر حاسم لصالح قوات المحور، فقد غادر روميل شمال أفريقيا في الثاني والعشرين من سبتمبر 1942 طلبًا للراحة والعلاج، حيث التقى بموسوليني في روما، واقترح عليه تقديم المزيد من الإمدادات، أو إجلاء القوات من شمال أفريقيا؛ حفاظًا عليها من أجل الدفاع عن أوروبا، غير أن موسوليني كان يرى أن هذه مسالة استراتيجية وسياسية لا شأن لروميل بها، ولما التقى بهتلر شرق بروسيا حاول مناقشته في الأمر، لكن بدلاً من الدخول في المناقشة وجد نفسه يصغى لمناقشات هتلر بشأن الدبابات الجديدة من طراز (تايجر)، والصواريخ (نيبلورفر)، ومن ثم لم يجد روميل سوى التقاعد في مستشفى سيمرينج بالقرب من فيينا لعلاج كبده وضغط دمه الشديد، وبينما هو خالد للراحة واستعادة صحته أسرَّ إلى زوجته تحفظاته التي فارقت صدره للمرة الأولى بشأن هتلر وسياسته واستراتيجيته الخرقاء ـ حسب وجهة نظر روميل ـ والتي ستكون السبب في خسارة ألمانيا الحرب.

في هذه الأثناء كان جنرال سيرهارولد ألكسندر الذي حل محل أوكنلك كقائد عام لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط ومونتجومري يخططان لشن هجوم ضار، وضخم على العلمين، وذلك بفضل التعزيزات التي تقدر بـ40000 جندي، و300 دبابة شيرمان جديدة، وفي الثالث والعشرين من أكتوبر 1942 أطلق مونتجومري الجيش

الثامن لخوض معركة العلمين الثانية، وذلك بهدف ـ كما يقول مونتجومري ـ القضاء على روميل.

وفي مساء اليوم التالي اتصل أحد مسئولي مقر هتلر هاتفيًا برومیل في مستشفى سمرينج ليبلغه أن قائد الفيلق الأفريقي الذي خلفه في شمال أفريقيا مفقود، وأنه في الغالب إما لقي مصرعه، أو وقع أسيراً في يد الأعداء، فهل تعافى روميل تمامًا كي يعود إلى موقعه إذا اقتضى الأمر؟ ثم جاءته مكالمة هتلر نفسه في مساء نفس اليوم ليسأله إن كان بوسعه التجهز للسفر إلى شمال أفريقيا إذا تطلب الأمر؟ بالطبع، ثم اتصل هتلر مرة أخرى في نفس الليلة طالبًا منه السفر في الحال، فما كان من روميل إلا أن أجابه: "بكل تأكيد".

في الخامس والعشرين من أكتوبر سافر روميل إلى روما، حيث علم أن إمدادات هزيلة قد اجتازت البحر المتوسط، ووصلت طرابلس هذا المساء. أخذ روميل جولة على الجبهة في الساعات الأولى من يوم 26 أكتوبر تسرَّب فيها الخوف إلى نفسه، حيث كان للحلفاء السيادة على البحر والجو، بل وكانوا يقصون جيوش المحور عن ميدان القتال، لذا فقد وجه تحذيره إلى هتلر وموسوليني وكيسلرينج كي ينتظروا الكارثة.

لقد كان أول ما يشغل روميل هو إعادة بناء المواقع الدفاعية، لكن السيادة البريطانية كانت طاغية، لذا فقد فشلت هجماته المضادة، بل إنه لقي فيها خسائر فادحة.

وقبل ظهر يوم الثالث من نوفمبر، وفي الوقت الذي فقد فيه الفيلق الأفريقي الإيطالي الألماني 50000 رجل (نصفهم وقع أسيراً)، و400 دبابة، و1000 مدفع، وتساقطت التشكيلات الإيطالية، ونفد الوقود والذخيرة، جاءت رسالة هتلر تطلب من روميل "الثبات"، وهو الموقف الذي أذهل روميل لما فيه تعنَّت، وعدم إدراك للموقف من جانب هتلر، فقد كان ما يطلبه هتلر مستحيلاً، وفي اليوم التالي عندما تمكن البريطانيون أخيراً من اختراق دفاعاته أصدر أمراً بالانسحاب العام، والذي كان بداية

النهاية لوجود قوات المحور في شمال أفريقيا، وبعدها بأربعة أيام وبالتحديد في الثامن من نوفمبر وفي الوقت الذي كانت فيه قواته تنسحب من مصر جاءت الأخبار عن عملية "تورش"، والتي تم فيها إنزال القوات الأنجلو أمريكية في المغرب الفرنسية والجزائر، وأقرب منطقة منها تبعد عنه حوالي 2500كم غربًا.

وفي الوقت الذي صدرت فيه أوامر هتلر وموسوليني بعدم الانسحاب أجرى روميل إحدى أبدع مراوغاته التي قام فيها بالانسحاب محافظًا على معظم ما تبقى من قواته، معطِّلاً تقدم قوات مونتجومري رغم النقص الدائم في الذخيرة والوقود، حيث لم يتمكن مونتجومري من الإيقاع بروميل، أو تطويق قواته رغم التفوق الذي تمتع به مونتجومري من جانب الموارد، لاسيما الغطاء الجوي البريطاني الذي كان له السيادة، ومعرفة مونتجومري بنوايا روميل وخططه من خلال اعتراض الإشارات السرية الخاصة بقوات المحور، ولقد عزز هذا الانسحاب شهرة وصيت روميل كقائد عسكري بارز في المناورات الميدانية، وقبل انتهاء نوفمبر كان روميل على الخط الدفاعي لمرسى البريقا، والذي يبعد 950كم غرب العلمين، 800كم شرق تونس، وهناك توقف روميل بقواته.

سارع هتلر وموسوليني بإرسال قوات ألمانية وإيطالية إلى ما يسمى برأس الكوبري التونسي ـ الركن الشمالي الغربي من تونس ـ حيث تونس العاصمة، وميناء بنزرت لمواجهة القوات الأنجلوأمريكية، وذلك في التاسع من نوفمبر، وفي العشرين من نفس الشهر قرَّرا تركيز جهودهما في تونس ضد الأنجلو أمريكيين والفرنسيين الذين انضموا إلى الحلفاء، وفي الوقت الذي كان ينشد فيه المحور طرد الحلفاء من تونس ودفع إسبانيا إلى الدخول في الحرب إلى جانب المحور كان على روميل الدفاع عن ليبيا بأقصى ما بوسعه، غير أن روميل كان قد أدرك منذ معركة العلمين الثانية وعملية تورش أن المحور قد خسر قضية شمال أفريقيا.

وفي الثامن والعشرين من نوفمبر سافر روميل إلى شرق بروسيا للاجتماع مع هتلر، حيث دخل معه في نقاش حاد، وكان رأي روميل أنه طالما لم يكن من المتوقع تحقيق أي تحسُّن على عملية نقل المؤن والذخيرة عبر البحر الأبيض المتوسط فإنه يجب التخلي عن مخطط المحور وسياسته على المدى البعيد بالنسبة لشمال أفريقيا، وإلا فإنه من المؤكد أن جيش المحور سيُدَمَّر، غير أن هتلر الذي كان في أشد غضبه لم يسمع له، وهو ما زاد من غضب روميل هو الآخر، وزاد من شعوره بالسخط على هتلر، وعدم قدرته على الفهم، وهكذا عاد إلى روما هرمان جورنج الذي وعد بتحسين ظروف نقل المؤن والإمدادات بحراً، غير أنه لم يكن في الواقع مهتمًا سوى بالكنوز الفنية والآثار الإيطالية.

وبعد أن عاد روميل إلى شمال أفريقيا قرر سحب قواته من ليبيا، ونقلها إلى تونس، حيث يقوم بعمل غارات تجاه الغرب على أمل أن يتمكن من طرد الحلفاء من تونس قبل أن يعاود الهجوم المضاد على مونتجومري في الشرق، ولإقامة حوار بين وحداته والقوات الإيطالية الألمانية في شرق تونس أرسل روميل عدة آلاف من القوات الإيطالية إلى جنوب تونس، غير أنه لم يكن يدرك الصعوبات التي سوف تواجهه مع الجنرال الألماني فون أرنيم الذي عُيِّن قائداً على رأس الكوبري التونسي في التاسع من ديسمبر 1942.

كان أرنيم يهدف إلى إغلاق المعابر في السلاسل الشرقية لجبال أطلس، والموازية للساحل التونسي، وبالتالي يقيم طريقًا محميًّا بطول ساحل البحر بين قواته في الشمال وقوات روميل بمجرد دخوله جنوب تونس، وبعد استيلائه على معبر بيكون والفندق في الشمال مد الجنرال فون أرنيم جنوبًا باستيلائه على معبر فايد في 30 يناير 1943، وهو ما كان يمثل ضربة البداية فيما يعرف بعدها بمعركة معبر قصرين.

في هـذه الأثنـاء وفي اليـوم الأخـير مـن سـنة 1942 وافـق موسـوليني روميـل علـى الانسحاب ببطء من ليبيا إلى تونس.

وبالفعل بدأ روميل بسحب قوات من المشاة غير المزودة بمركبات عبر الحدود في الثاني من يناير 1943، وأجلى بقيـة القـوات عـن طـرابلس الـتي دخلـها الإنجليـز في الثالـث والعشرين من يناير بعد تقدمهم من العلمين على بعد 2500كم، بعدها بثلاثة أيـام نقـل روميل مقره إلى تونس، وهكذا نجـح روميـل في إجـراء أطـول عمليـة انـسحاب عرفهـا التاريخ، ولم يكن هناك تواريخ قد تم تحديدها، ولكـن بعـد أن اسـتقر بقواتـه والفيلـق الأفريقي الإيطالي الألماني في دفاعات خط مارث كان عليـه أن يـسلم قيادتـه إلى الجنـرال الإيطالي جيوفاني ميس قائد الجيش الأول الإيطالي.

ورغم إصابته بصداع وأرق شديدين، ومعاناته من الضغوط العصبية، والمـشاكل في جهازه الدوري إلا أنه كان سعيداً بالآمال التي ارتآها في تونس، كان روميـل قـد أحكـم سيطرته على جيشه جيداً خلال إحدى مناورات التقهقـر بالغـة الـصعوبة، والـتي تمثـل إنجازاً عسكريًا جديداً لهذا القائد، بعدها صار يتطلع إلى الفرصة التي يقوم فيها بغـارات جديدة، وكان أرنيم قد واجه في 100.000 من رجاله مجموعة من قوات الحفـاء المتجهـة إلى بنزرت وتونس في الـشمال، في حـين اعـترض روميـل في 7000 مـن رجالـه قـوات أمريكية مشتتة ضئيلة الخبرة، وأخرى فرنسية فقيرة التسليح في الجنوب، وعلـى الجانـب الآخر لم يكن أمام مونتجومري سوى بضعة أيام يعيد فيها تجميـع قواتـه للقيـام بهجـوم على خط مارث، في هذه الفترة كان أمام روميل فسحة من الوقت يمكنـه خلالهـا إيقـاع الفوضى بالقوات الأمريكية والفرنسية وإضعاف معنوياتها.

في التاسع من فبراير وصل كيسلرينج تونس للتنسيق مع أرنيم وروميل للإغارة علـى غرب جبال أطلس الشرقية، كانت الخطة أن يقوم أرنـيم بالتقـدم لمـا وراء فايـد في اتجـاه مدينة سبيطة، في حين كان على روميل التقدم جنوبًا صـوب الجفـسة، ومـع ذلـك كـان

هناك نقاط غامضة تكتنف الخطة؛ أهمها على الإطلاق عدم وجود قائد عام للقوات جميعًا، وبالتالي كان على كل من روميل وأرنيم العمل المستقل كلاً عن الآخر.

وهكذا دون أن ينسق جهوده مع روميل هاجم أرنيم تشكيلات فرنسية وأمريكية هامة في الرابع عشر من فبراير، حيث سحقها وأجبرها على التقهقر صوب سبيطة، أما روميل فبعد أن علم بطريق المصادفة أن الأمريكيين والفرنسيين قد انسحبا من الجفسة فقد أرسل وحدات من جيشه لاحتلال المدينة، ثم اتجه بعدها إلى فيريانا ومطار شيلبت، وبالفعل نجحت قوات روميل في الاستيلاء على هذه المواقع في السابع عشر من فبراير، ثم فاجأت الأنباء روميل بأن أرنيم قد فشل في الضغط على سبيطة والاستيلاء عليها، في الوقت الذي كان يوطد مؤخرة جيشه في خط مارث من أجل المزيد من الفوضى في جيوش الأمريكيين والفرنسيين.

طالب روميل بالمزيد من الصلاحيات للاستمرار في هجماته، حيث كان يضع عينه على (تبيسة) أحد أهم مراكز إمدادات الحلفاء عبر الحدود مع الجزائر، ويتطلع إلى القيام بعملية تطويق شاملة لجيوش الحلفاء، وفي الثامن عشر من فبراير وصلته الموافقة على القيام بعدد محدود من الهجمات على معبري (شبيبة) و(قصرين) غرب جبال أطلس على أساس أنه لو تمكن من اختراق هذه الثغرات سيهدد الحلفاء، ويؤدي بهم إلى الجلاء عن تونس.

بدأت عمليات روميل في التاسع عشر من فبراير، واستمرت ثلاثة أيام من الهجوم العنيف على موقع القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية في شبيبة، والذي لم يؤد إلى شيء، حيث دخلت وحدات من قوات المحور المعبر حتى أوشكت على اختراقه، إلا أن القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية استماتت في الدفاع عنه، مما أدى بروميل ـ الذي كان قد أصيب بإحباط ويأس شديدين بعدما رأى إلى أي مدى تتفوق أسلحة الحلفاء قوة وعدداً، بالإضافة لعدم قدرة قواته على الاستيلاء على المعبر ـ إلى وقف محاولاته، والتقهقر إلى خط مارث في الثاني والعشرين من فبراير، لقد تمكن روميل من

إقصاء الجيوش الأمريكية والفرنسية 50 ميلاً عبر سهل سبيطلة من شرق إلى غرب الأطلسي منزلاً خسائر بالأمريكيين وحدهم وصلت 6000 جندي (نصفهم أسرى)، و2000 قطعة مدفعية، و183 دبابة في مقابل أقل من 1000 جندي، و20 دبابة من جيشه، وهكذا وجه روميل ضربة قاصمة، إلا أنها غير قاتلة، وكان فشل روميل في تحقيق المزيد من النجاح يرجع إلى رفض أرنيم دعم هجماته، فقد حال تنافس أرنيم معه دون توحيد الجيشين معًا تحت قيادة واحدة للعمل في اتجاه واحد، وهو ما كان من شأنه أن يهدد بكارثة للحفاء.

وفي الثالث والعشرين من فبراير سلم روميل قيادة جيشه إلى ميس، وتَرقَّى لمنصب قائد مجموعة جيوش أفريقيا بسلطات فوق كل من أرنيم وميس، غير أن التغيير جاء متأخراً جداً، فلو كانت سلطة إصدار الأوامر في يد روميل في وقت مبكر ربما كان بوسعه تحقيق نصر يضمن له التفوق في تونس، وفي السادس من مارس هاجم ميس مونتجومري في مدينين، حيث كان يجمع قواته للهجوم على خط مارث، إلا أنه هُزِم هزيمة ساحقة، وهكذا بات واضحًا أن قوات المحور لم تعد قادرة على عرقلة استعدادات مونتجومري الهجومية.

بعدها بثلاثة أيام طار روميل إلى روما حيث قابل موسوليني وكيسلرينج، وأخبرهما أنه لا فائدة من الاستمرار في المقاومة في شمال أفريقيا، حيث قال إن البقاء هناك "انتحار واضح"، فما كان منهم إلا أن أرسلاه إلى هتلر، حيث كرر عليه أمنيته بإجلاء قوات المحور عن أفريقيا، وتركيز الدفاعات على أوروبا، وراح يرجوه أن ينقذ أرواح القوات هناك، غير أن هتلر بدلاً من الإصغاء له راح يقلده أنواط أوراق السنديان والسيوف والألماس، وطلب منه القيام بإجازة مرضية طويلة.

وبعد أن خاب أمله في هتلر راح يشاهد في حزن نهاية حملة تونس محبَطًا للنتيجة الحتمية التي انتهت إليها الحرب، وكما تنبأ فقد أجهز الحلفاء على ما تبقى من قوات المحور، وزادوا في خسائرهم بعد أن أخذوا منهم 250000 أسير، وهو نفس العدد من

الجنود الذي خسرته ألمانيا منذ أشهر قليلة في ستالنجراد، حتى أن هتلر قال لروميل بعدها: "ليتني كنت أصغيت لك".

وبعد أن صار الساحل الجنوبي لأوروبا من تركيا إلى أسبانيا معرَّضًا لهجوم الحلفاء في أي وقت كان هتلر يرى تداعيات الموقف أمام المجهود الحربي الألماني، وكما قيل: "ما أن تطأ قدم أول جندي من قوات الحلفاء إيطاليا.. يكون موسوليني قد انتهى"، والأسوأ من ذلك أن نجم ألمانيا بدأ يأفل؛ إذ لم تعد القيادة العليا قادرة على مواصلة محاولاتها الدفاعية المتكررة، هتلر نفسه ـ كما يرى روميل ـ لم يعد يرى هناك أملاً في النصر، بل تسرَّبت إلى قلبه الرغبة في الموت له ولألمانيا التي جرَّها إلى الدمار معه.

وسرَّب الإنجليز معلومات عن طريق وضع ورقة في ملابس لجسد نقلته مياه البحر إلى الساحل الإسباني أقنعت هتلر بأن الحلفاء نزلوا إلى اليونان، وقام هتلر بتعيين روميل قائداً عامًا للمنطقة الجنوبية الشرقية، وفي الحال سافر روميل إلى سالونيكا في الخامس والعشرين من يوليو، لكنه استُدعى بسرعة؛ لأن موسوليني قد أطيح به في هذا اليوم.

وفي يوم 26 يوليو التقى روميل بهتلر الذي تحدث إليه عن إحلاله مكان كيسلرينج قائد عام لمسرح العمليات في إيطاليا، غير أنه لم يتخذ خطوات مباشرة للقيام بهذا، وذهب روميل إلى ميونخ لتحمُّل قيادة المجموعة الحربية (B)، وفي حالة انسحاب الإيطاليين من الحرب يقوم روميل باحتلال المعابر والطرق والسكك الحديدية شمال إيطاليا، في حين ينسحب كيسلرينج بقواته من الجنوب إلى الشمال.

وعندما انضمت قوات كيسلرينج إلى روميل في شمالي الأبنين اضطلع روميل بقيادة القوات الألمانية في إيطاليا جميعًا، وكانت قوات ألمانية كافية قد عبرت الحدود الألمانية إلى إيطاليا بحجة الدفاع عن إيطاليا ضد الغزو المحتل، لكنها في الحقيقة جاءت لمساعدة روميل للسيطرة على شمال إيطاليا في الخامس عشر من أغسطس 1943.

وبعد أن طوق الحلفاء جزيرة صقلية في منتصف أغسطس بدؤوا في غزو شبه الجزيرة

الإيطالية في أوائل سبتمبر، وعندما أعلنت حكومة بودوليو الذي خلف موسوليني الانسحاب من الحرب وقفت القوات البريطانية بمحاذاة الشاطئ الإيطالي، في حين نزلت وحدات بريطانية وأمريكية إلى ساليرنو، وانصياعًا لاستراتيجية هتلر فقد حارب كيسلرينج في ساليرنو فترة طويلة لسحب القوات الألمانية جنوبًا بعدها بدأ الانسحاب في بطء ومهارة من البلاد كلها، في حين شدد روميل سيطرته على شمال إيطاليا، وقد ساعدت تحركاته السريعة في حماية ظهر كيسلرينج، وفتح روميل مقر مجموعته الحربية في ليك جرادا في 12 سبتمبر.

ولكن سرعان ما دبَّ الخلاف بين روميل وكيسلرينج، حيث رأى كيسلرينج الدفاع عن إيطاليا جنوب روما، حيث الأرضية الرائعة التي تساعد على الدخول في حرب من مواقع ثابتة، وذلك لمنع الحلفاء من الاستيلاء على وادي بو، وعبور البحر الإدرياتيكي إلى دول البلقان، أما روميل فقد تمسك باستراتيجية هتلر لما رأى أن الخطوط الدفاعية جنوب إيطاليا لن تصمد طويلاً أمام العمليات البرمائية لقوات الحلفاء، في حين تتعرض خطوط الإمدادات الألمانية للتدمير على يد القوات غير النظامية المشاركة في الحرب وهجمات السلاح الجوي للحلفاء؛ لذا فقد قرر روميل الانسحاب الفوري إلى خط الأبنين الشمالي.

لقد كان هتلر يرى روميل متشائمًا، بل وانهزاميًا، في حين كان يرى كيسلرينج متفائلاً، وقد أمر هتلر كيسلرينج في 17 سبتمبر، ومع انتهاء معركة ساليرنو، بالانسحاب ببطء إلى خط جوستاف جنوب كاتسينو، وهناك يتوقف، ثم اجتمع هتلر مع كيسلرينج وروميل في 30 سبتمبر، حيث صرح روميل بارتيابه في القدرة على الدفاع في الجنوب، في حين كان موقف كيسلرينج إيجابيًا، بعدها بأربعة أيام، وفي 4 أكتوبر أمر هتلر كيسلرينج بالدفاع عن خط جوستاف ومواقعه القوية المتقدمة، في حين أمر روميل ببناء استحكامات وتحصينات في الشمال، وإرسال فرقتين من قواته مع بعض المدفعية إلى كيسلرينج، وفي نفس الشهر اتصل هتلر بكيسلرينج الذي أكد له أن الحلفاء لن يتمكَّنوا من دخول روما، وفي أوائل نوفمبر اتصل هتلر برومیل، فكرر عليه شكوكه.

وبعد أن رتب هتلر أوراقه عيَّن كيسلرينج قائداً أعلى في إيطاليا في 6 نوفمبر، في حين أخبر روميل بالقيام بمهمة أخرى مهمة.

لقد كان على روميل القيام بعدة جولات لفحص الدفاعات الساحلية بطول بحر الشمال والقنال الإنجليزي والمحيط الأطلنطي، وذلك أن روميل كان يتوقع غزواً من قوات التحالف عن طريق القنال الإنجليزي في ربيع أول صيف 1944، وفي 21 نوفمبر سلَّم روميل القيادة إلى كيسلرينج الذي اضطلع قبل ذلك بمسئولية الحملة الإيطالية.

وسافر روميل إلى فرنسا في عدد قليل من رجاله، حيث زار التحصينات الساحلية في الدنمارك وهولندا، وبطول بادوكلاى في نورماندي وبريتاني، وفي كل مكان يذهب إليه يستحث معنويات الرجال للدفاع عن الشاطئ، كما عمل على إصلاح الدفاعات، وفي 15 يناير 1944 تم تدعيم مقر المجموعة الحربية (B)، وأعيد تشكيلها ليكون روميل مسئولاً عن الجيشين السابع والخامس عشر في فرنسا وحول الجيوب المحيطة، وقد منح هذا روميل مسئولية إدارة الدفاع في الغرب، رغم أن الترتيبات من القيادة ظلت غامضة بعض الشيء، حيث كان يعمل تحت قيادة فيلد مارشال جيردفون راندستد القائم العام للقوات الألمانية جميعًا، ومع ذلك وكما يعلق المؤرخ الأمريكي جوردون هاريسون: "لقد كانت شخصية روميل هي الشخصية المهيمنة في الغرب، وكان نفوذه واسعًا يفوق كثيراً السلطة الرسمية المخوَّلة إليه"، وفي اجتماع لكبار القادة في الغرب مع هتلر في مارس 1944 مُنح روميل المزيد من السلطات.

وفي مايو عندما تم تشكيل المجموعة الحربية (جي) المنفصلة تحت قيادة جنرال بلاسكو فيتس للدفاع عن جنوب فرنسا أصبح روميل قائداً لقوات المواجهات الميدانية التي كانت بصدد استقبال كامل قوة غزو نورماندي.

وخلال الأشهر الستة الأولى من عام 1944 ضاعف روميل أعداد الألغام في المنطقة الدفاعية الساحلية إلى 5 أو 6 ملايين، وأشرف على بناء حصون، واستحكامات،

ومواقع للمقاومة، ودروع للقوات، كما أسَّس ما عرف بـ"هليون روميل" لمواجهة أي عمليات إنزال لقوات الحلفاء، وزرع الألغام والحواجز على الشواطئ، بل وزرع مواد تعرقل حركة القوات البرمائية، وعلى الرغم مما بذله من طاقات هائلة وابتكاراته الرائعة وجولاته التفقدية التي لم تكن تتوقف إلا أنه لم يستطع إكمال الدفاعات الثابتة لحائط الأطلسي على الوجه الذي يرضيه؛ وذلك لنقص المواد اللازمة ومن بينها مواد البناء، وضيق الوقت، وهو ما سلبه القدرة على إيقاف عملية إنزال قوات الحلفاء على حافة مياه ما عرف باسم "حزام روميل".

ولما كان روميل مؤمنًا أنه ما لم يمنع الألمان قوات الحلفاء من الوصول إلى الشاطئ فلن يكون هناك سبيل إلى هزيمة الغزو، فقد أصر روميل على جعل الشاطئ خط المعركة الأساسي، وهو ما كان يتوقعه مونتجومري قائد القوات البرية للحلفاء ويخافه، لقد كان روميل يفضل في خطط الدفاع عن الساحل الدفاع الخطي على الدفاع من العمق، والحرب الثابتة على العمليات المتحركة، وامتلاك أرض على شن معركة تدمير، والمواقع المحصنة على الغارات، وعلى العكس منه كان الفيلد مارشال رندستد الذي تبنى مفهومًا أكثر تقليدية والذي يعتمد على امتلاك قوة متحركة قوية ذات احتياطي استراتيجي حتى يتم تحديد اتجاه الهجوم الرئيسي للحلفاء لتشن هجمات مضادة تقليدية في العمق حتى يتم القضاء على رأس الشاطئ الذي يرتكز فيه الحلفاء. لقد كان روميل يرى أن الحلفاء يملكون سيادة جوية تحول دون وصول الاحتياطي الاستراتيجي إلى ميدان المعركة، ولم يفضل هتلر قط استراتيجية على الأخرى، بل كانت الاستراتيجية المختارة خليطًا من الفكرتين، وهو ما أدى إلى عواقب مأساوية، وقد جمع راندستد احتياطيًا مزوداً بقوات مدرعة في موقع مركزي استعداداً لإطلاقه بمجرد الكشف عن اتجاه الهجوم الرئيسي الذي سوف يشنه الحلفاء، بينما نشر روميل معظم قواته، ومعظمهم قوات بدون مركبات؛ بمعنى أنهم بدون وسائل مواصلات، بالقرب من المواقع المرجح نزول الحلفاء إليها عند الهجوم.

في الخامس من يونيو 1944، وفي يوم عاصف بدا معه استحالة قيام الحلفاء بعملية إنزال للقوات غادر روميل إلى منزله في هيرلينجن ليقضي مع زوجته عيد ميلادها، ثم ليذهب إلى هتلر في أوبرز البورج؛ كي يوضح له النقص الذي يعانيه في العتاد والأفراد، خاصة مع اقتراب غزو الحلفاء، كذلك كان روميل يأمل في ضم فرقتين مدرعتين وفيلق مضاد للطائرات، ولذا كان روميل غائبًا عندما نزلت عناصر الحلفاء بمحاذاة الشاطئ في صبيحة يوم 6 يونيو؛ البعض من السماء في طائرات ومظلات، ومعظمهم عن طريق البحر في طوافات، وفي المساء عاد روميل إلى نورماندي، حيث حاول تدمير القاعدة التي يرتكز عليها جنود الحلفاء حتى يحشد راندستد احتياطيه المدرع في الهجوم على رأس الشاطئ، لكن كما توقع روميل، فقد تحرشت القوات الجوية للحلفاء بتحركات الألمان، وأغارت على مواقع احتياطي المدرعات، ورغم أن استراتيجية روميل نجحت مع افتقارها للعتاد والأعداد الكافية من المقاتلين في حبس قوات الحلفاء في رأس شاطئ ضيق نسبيًا إلا أنه قبل أن ينتصف يونيو تأكد أن الحلفاء يمتلكون نقطة تمركز بالغة القوة في فرنسا، ورغم أن الألمان قد وجدوا أنه من المستحيل شن هجوم مضاد وقوي. فقد كان روميل متأكدًا أن في ظل هجوم مثل هذا ستَدُكُّ مدافع أساطيل الحلفاء في القنال الإنجليزي عناصرُ المقدمة الألمانية، وبالتالي تحرم الألمان القدرة على استعادة الشواطئ، وكان رأي روميل أن الوقت قد حان للانسحاب من نورماندي، والعودة إلى الخطوط الدفاعية لإيقاف زحف الحلفاء إلى ألمانيا.

واستدعى هتلر كلاً من رانستد وروميل للالتقاء به، ولكليهما وجهة نظر متقاربتان تتعلقان بالأسلوب الذي سيواجه به الألمان الحلفاء، وكان ذلك الاجتماع في سويسونز في 17 يونيو، وفي الغرفة المحصنة تحت الأرض والتي أنشئت لهتلر منذ أربعة أعوام للمساعدة في إدارة غزو إنجلترا، وطلب كلا القائدين المزيد من حرية التصرف في ميدان المعركة، خاصة الإذن بسحب قوات من الاحتياطي حسبما يريدان، وكذلك تضييق خطوطهما الدفاعية، غير أن هتلر رفض مطلبهما بعد أن وبَّخهما بعنف لتقصيرهما،

والأخطاء التي وقعا فيها في قيادتهما للعمليات، وأمرهما بالالتزام بالدفاع الصلب، وأن تلتزم حامية قلعة شيربورج بالدفاع حتى آخر رجل، ومواكبة ذلك بإجراء هجوم مضاد وكاسح خلال بايو.

وبعد أن عاد القائدان إلى مقارِّهما حاولا تنفيذ تعليمات هتلر، غير أن هجوم بايو المضاد في يوم 26 يونيو فشل أمام الدفاع البريطاني القوى، ورغم أن الألمان منعوا الحلفاء من توسعة رأس الشاطئ الذي تمركزوا عنده فقد كانوا غير قادرين على وقف نزيف الخسائر الألمانية في الرجال والعتاد، وما أن خارت قوة الألمان حتى بدا للفريقين أن مسألة انتصار الألمان باتت خيالاً، وأنه لا فائدة من مواصلة الدفاع.

وبعد أن طلب هتلر قائدي جيشه للالتقاء بهما مرة أخرى في بريخت جاردين يوم 29 يونيو أصغيا له وهو يعيد عليهما ضرورة الثبات، ورفض أن يجيبهما إلى اللجوء إلى أسلوب الدفاع المرن، فقد كان المطلوب منهما محاصرة الحلفاء، وحبسهم عند رأس الشاطئ، ولقد طرح روميل على هتلر سؤالاً افتراضيًا فيه قدر كبير من الجرأة والخطورة عندما قال له: كيف تظن أنك ستنتصر في الحرب؟ وعندما عاد إليه مرة أخرى قادتهما حالة الإحباط التي عانيا منها إلى طلب الانسحاب الجزئي، وفي الأول من يوليو جاء رد هتلر بأن تبقى كافة القوات في مواقعها، وتسريح راندستد القائد العام لجميع القوات الألمانية، وكذلك قائد احتياطي المدرعات الجنرال جيرفون شوبنبرج الذي سبق أن انتقد ما أسماه "الدفع التكتيكي" للعمليات الألمانية، وعندما علم روميل بأمر التسريحات هذه قال: "الدور عليَّ".

إلا أن هتلر نقل روميل إلى قيادة المجموعة العسكرية (B)، وعيَّن فيلد مارشال هانزفون كلوج مكان راندستد، ورغم أن هتلر كان قد حذر كلوج من اليأس الواضح على روميل، وميله إلى مخالفة الأوامر إلا أن كلوج سرعان ما جاء يعرض الموقف على روميل ويطلب رأيه، وكان رأي روميل ـ وقد انتصف شهر يوليو ـ أن ألمانيا التي فقدت

100.000 من رجالها وشهدت 6000 إحلال واستبدال للقوات لن يكون بوسعها الصمود لأكثر من أسابيع قليلة في أفضل الأحوال.

لقد زاد من استحالة تحقيق نصر للألمان عجزهم عن استكمال التحصينات الساحلية التي بدأوها، والدعم الجوي والبحري الأقل كثيراً مما قدَّروا، والموقع الذي اتخذته فرق المدفعية بعيداً عن الساحل، ومع ذلك فقد منعت معركة روميل الدفاعية الحلفاء من توسعة رأس الشاطئ الذي تمركزوا عنده، لكنه ما إن غاب روميل عن مسرح العمليات حتى تمكن الحلفاء من سحق الجناح الأيسر للجيش الألماني، واختراق قاعدة التقدم الألمانية القارية، وتوجيه عمليات عسكرية سرعان ما دمرت الجيشين الألمانيين في نورماندي، وتم تحرير فرنسا.

في السابع عشر من يوليو أصيب روميل إصابة بالغة عندما هاجمت سيارتَه طائرتان من طائرات الحلفاء، حيث أصيب السائق بجرح عميق تسبَّب بعدها في وفاته، بعد أن فقد السيطرة على السيارة، وما إن اصطدمت السيارة حتى أُلقيَ بروميل فاقد الوعي خارجها، وبعد أن عالجه طبيب فرنسي تم نقله إلى المستشفى في برناي، حيث استعاد وعيه وبدأ في التعافي، وكان قد أصيب بكسر في الجمجمة، وثلاثة كسور أخرى، بالإضافة إلى جروح في الوجه نتيجة لشظايا أصابته فيه.

وبعد الحادث الذي تعرض له روميل بثلاثة أيام وصلت حالة التمرد ضد هتلر في شرق بروسيا أوجها حين انفجرت قنبلة في مقر الفوهرر الذي نجا من الحادث بأعجوبة رغم إصاباته الطفيفة، وسرعان مع أكد على أنه لا يزال في موقع السلطة، وقرر التخلص من المتآمرين في وحشية، غير أن أحد واضعي خطة اغتيال هتلر، وهو الجنرال فون شتولبناجل حاكم فرنسا ورَّط روميل في الحادث عندما ذكر اسمه في نوبة هذيان.

ورغم أن روميل كان يرفض اغتيال الفوهرر إلا أنه كان موافقًا على عزله وسجنه، لقد استشعر روميل أن مواصلة الحرب سيكون أمراً لا معنى له، بل سيمثل تدميراً

لألمانيا، ولذا فقد وافق على أنه في حالة الإطاحة بالفوهرر فإنه سيترأس حكومة تسعى في الحال إلى التوصل إلى هدنة مع الحلفاء الغربيين.

في يوم 24 يوليو تم نقل روميل إلى مستشفى عسكري في لوفينزنييه إحدى ضواحي باريس، وفي بداية أغسطس كان قد أكمل علاجه وبدأ فترة النقاهة في منزله في هيرلينجن، وفي 7 أكتوبر دُعيَ إلى اجتماع في برلين، لكنه اعتذر عنه لأسباب صحية، بعدها بأسبوع وصل جنرالان في الرابع عشر من أكتوبر إلى منزل روميل يحملان له خيارين إما أن يقدم للمحاكمة ويواجه تهمة الخيانة العظمى، أو ينتحر، وإذا اختار الثانية فلن تُمس زوجته وابنه بأذى.

لذا فقد دخل روميل سيارة مع الجنرالين وابتلع كبسولة للانتحار، وبعد نصف ساعة وصل تليفون من مستشفى في أولم معلنا إصابة روميل بانسداد في الأوعية الدموية، لقد لاحظ أولئك الذين رأوا جسده بعد وفاته نظرة الازدراء التي علت وجهه، لقد تخلص هتلر من الشخص الوحيد في ألمانيا الذي يتمتع بالشعبية الكافية والاحترام العسكري، والذي يستطيع أن يعمل على إنهاء الحرب، وتم إحراق الجسد تجنبًا لأية إدانة محتملة مستقبلاً فيما يتعلق بتسمم جسده، وعقدت جنازة رسمية لنقل جثمانه، ودفن في هيرلنجن في 7 مارس 1945، ورغم حالة التفكك التي صار إليها الرايخ الثالث على يد هتلر، والذي صار في طريقه إلى الزوال تلقت زوجة روميل رسالة من هتلر لإقامة نصب تذكاري على قبر زوجها، وبالطبع لم تهتم بالرد على هذه الرسالة.

لقد حظي روميل بكل ثناء هو مستحق له، فقد كان تكريسه لعمله الحربي خير مثال يُحتذَى به، فقد حارب بقوة وقسوة في الحرب الشاملة، لكنه استحق الاحترام والإعجاب لمعاملته الطيبة للأسرى.

ولم يتعلم روميل في مدارس النازية، بل لقد كان لديه رغبة في إنقاذ بلاده من المزيد من الدمار، وهو ما جعله يتورط مع حركة ضد هتلر دفع ثمنها حياته، وهو ما يجعلنا كذلك نتعاطف معه. لقد كان أحد أولئك الذين يدركون المعاني الهامشية البسيطة

للواجب والحاجة للاختيار في بعض الأحوال بين ما تمليه واجبات الطاعة وما تمليه الأخلاقيات، ومع جنوده حَظِيَ روميل بعلاقة طيبة عميقة، فقد كان يعتني بهم، ويهتم لشأنهم، ولا يلقي بهم إلى التهلكة رغم أنه كان يطلب منهم أفضل ما لديهم وأكثر، إلا أنه لم يُشَتِّتَهم، أو يلق بهم في هلاك بطيش ولا مبالاة، وكان يؤدي مهام عمله في شفافية نشاط وحكمة وتواضع لا تظاهر فيه، وكان يستغل عامل المفاجأة، ولم يتردد قط في الارتحال لتطوير موقف ما، وكان مستعداً دائمًا للاستفادة من النجاح.

ولأنه كان يضع دومًا النصر نصب عينيه فإنه رفض أن تثنيه عنه أية معوقات قد يرى فيها غيره من الرجال الذين يتحلون بالمنطق عقبات كؤود لا سبيل للتغلب عليها، إلا أن عيبه الوحيد هو ميله لنسبة إخفاقه إلى عدم كفاءة الآخرين، ولعل أعظم إنجازاته على الإطلاق ـ كما يقول كوريلي بارنت ـ هو تحويله ما كان يراه هتلر والقيادة العليا في ألمانيا عملاً دفاعيًا بسيطًا في شمال أفريقيا إلى حملة رائعة ظلت مصدر إزعاج ورعب لرئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وجذبت مدار عامين معظم المجهود الحربي البري للإمبراطورية البريطانية.

لقد عُقدت مقارنات بين روميل والجنرال جورج إس. باتون (جونيور) القائد الأمريكي الشهير والخبير في شن الحرب المتحركة، رغم أنهما لم يلتقيا قط في معركة، فقد ظهر باتون على مسرح الأحداث في تونس بعد رحيل روميل عنها، ثم في نورماندي بعد إصابة روميل، لقد كانا متشابهين في النواحي الكاريزمية، تلك المتعلقة بالجرأة والشجاعة، والقيادة، وقوة الإرادة، والخبرة التقنية، وإرادة المقامرة، والتأثير على الرأي العام، ومثل باتون الذي كان يؤمن أيضًا بنهايته المحتومة كان لدى روميل إيمان عميق بعلو نجمه، لقد كان كلا القائدين منفذين وليسا منظرين أو مفكرين، لكن روميل كان يتميز بخبرة ميدانية في المعارك أكبر، حيث خدم في الحربين، في حين تتمثل أعلى درجات قيادة باتون للجيش في دوره في الرقابة والتكتيكية والعملية، فقد سطع نجم روميل كقائد مجموعة حربية ليعمل على المستويات السياسية والاستراتيجية، ولم يظهر باتون سوى في الحروب الهجومية، في حين أظهر روميل براعة في أوجه كثيرة لأدواره

القتالية، وكلاهما كان ولاشك عبقرية عسكرية وقائداً عظيمًا ارتقى بدور القيادة العسكرية في ميدان المعركة إلى الذروة.

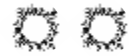

obeikandl.com

مأساة مصرع الفيلد مارشال روميل

obeikandl.com

obeikandl.com

كان روميل بالنسبة لاقتناعه التام بأن ألمانيا خسرت الحرب قد عرض على هتلر محاولة الاتصال بالحلفاء لعقد هدنة بين الطرفين لإنقاذ ملايين الضحايا.

هذه الصراحة لابد أنها فاجأت هتلر، وربما استمع هيملر لما أبلغه هتلر باقتراح روميل، ومن الغريب أن الزعيم استمع لروميل، وتناقش معه بإسهاب، ولكنه لم يترك أدنى شك لدى روميل أنه ليس لديه أية نية في الرجوع عن رأيه.

وقضى روميل بداية الصيف متأملاً هذه الأمور، ولأول مرة في حياته أصبح سياسيًّا، وأيقن روميل أن هتلر سيقود ألمانيا إلى الجحيم، ولذا من الواجب كبحه، وكيف يحدث ذلك وهو يترأس الحزب والجيستابو وقوات الأمن الخاصة، فمن المستحيل إزاحته عن منصبه، فيكفي إحالة مستشاريه، والإبقاء عليه كرئيس صوري بدون أي سلطة، وقبل أن يحاول تنفيذ ذلك كان روميل قد تولى قيادة المجموعة (B)، وكان عليه أن يسافر إلى إيطاليا، ثم إلى فرنسا، وأجَّل التفكير في ذلك الأمر لمتابعة عمله.

وهناك من كانت خططهم أكثر تقدمًا، بل وكان روميل نصب أعينهم، كان من بين هؤلاء الدكتور جوردكلف Goerdclef عمدة ليبزج Leipzig ، والعميد بيك الرئيس السابق للأركان، فقد كانا طرفي مؤامرة ضد هتلر، واتفقا على ضرورة الاعتماد على شخصية ذات شعبية تحظى بثقة الشعب الألماني لتقديمها كطرف أول في ذلك الانقلاب، تلك الشخصية يجب أن تحظى بثقة الجيش، وهذا لا ينطبق على الجنرال بيك رغم قدراته، حيث إنه غير معروف لدى الشعب، وحيث فُصِلَ من الجيش عام 1938، ولا ينطبق هذا إلا على روميل، وبالإضافة إلى ذلك فإن روميل الذي يعد خير من يمثل النازية هو أيضًا متقبَّلاً لدى الإنجليز، ويحظى بتقديرهم، ويوافقون على التعامل معه، ولا أحد يعرف الخلاف الدائر بين روميل وهتلر إلا في إطار ضيق؛ لذا كان من الواضح أن روميل دون غيره هو أكثر من تنطبق عليه الشروط السابق ذكرها.

ولحسن الحظ فإن المتآمرين كانوا على اتصال جيد مع الدكتور كارل ستروليـن عمـدة شتوتجارت Dr. Karl Strolin, Oberbiirgermeister or. Mayor of Stuttgart منـذ عام 1933، والمعروف في الخـارج قبـل عـام 1933 كـرئيس الاجتمـاع الأخـير للاتحـاد الدولي للإسكان وتخطيط المدن، وهو رجـل ذو شـعبية في شـتوتجارت، ويحـسب لهـذه الشخصية النازية أنها لم تنحرف، كما انحرف الآخرون من الحزب النازي. هذا ما شهد به القنصل الأمريكي في شتوتجارت الـذي كـان يعرفـه لـسبع سـنوات منـذ 1934 حتـى 1941، فهو رجل صاحب مبادئ إنسانية، وموضع احـترام مـن الأمـريكيين والألمـان، فنُبْلُ شخصيته ومواقفه التي يعكسها جهده الكبير في مساعدة من تحاصرهم المحنة جعلته مستحقًا لكل تقدير من قِبل الشعب الألماني، وكذلك الذين سـاعدهم بـإخلاص، ومـما يذكر له موقفه من احتلالَ الألمان لتشيكوسلوفاكيا حيـث عـارض هتلـر بـشدة، ورغـم إصراره على أن يستمر كعمدة لمدينة شتوتجارت حتى نهاية الحرب فقد ظل على مواقفـه ضد النازيين، حيث بدأ خلافه معهـم منـذ عـام 1939، ويحـسب لـه أنـه أنقـذ إحـدى وعشرين عضواً من المقاومة الفرنسية كان قد حُكِمَ عليهم بالإعدام في الألزاس، مما يرفع من رصيد حكمته وشجاعته.

وقد خدم ستروليـن مع روميل من خلال الخدمة العسكرية كنقيـب في سـلاح المـشاة، حيث قاتلا معًا في الخط الأول من المقدمة في الحرب العالميـة الأولى عـام 1918، وحيـث جُرِحَ لأكثر من مرة حينما كان في الفيلق 64. هنالك بدأت صداقته مع روميـل، ورغـم اختلاف اهتمامات ستروليـن كانت أوسع من اهتمامات روميل إلا أن هذه الصداقة قُـدِّرَ لها أن تمتد، وتقوى حتى أنه سـاعد أسـرة روميـل علـى نقـل محـل إقامتهـا مـن مدينـة Wiener Neustadt to Wurttcmberg.

وبدأ ستروليـن العمل السياسي من خلال فراو روميل[1]، وذلـك في شـهر أغـسطس من عام 1943، فقد كان من الشجاعة أن يكتب اسمه على رسالة كان قد كتبها، حيـث

(1) كلمة فراو تعني حرم أو زوجة.

طلب الكف عن اضطهاد اليهود والكنائس، وعودة الحقوق المدنية، واستقلال القضاء عن الحزب النازي، وقد أُرسلت هذه الرسالة إلى وزارة الداخلية التي حذَّرت ستولين على الفور بمحاكمته بتهمة الخيانة لو لم يتراجع عن مطلبه. . . . . ، وقد سلَّم ستولين نسخة من الرسالة إلى فراو روميل في نهاية نوفمبر قبل إجازة الكريسماس، حيث سلَّمتها لزوجها. كان الانطباع الذي تركته هذه الرسالة على روميل عميق، فقد وُجِدَ من يتبع نفس الفكر الذي حدثته به نفسه قبل سفره الأخير، وكان ستولين قد تقابل مع فراو روميل في هيرلينجين لتتيح له إمكانية مقابلة روميل، حيث كان على موعد مع الجنرال Gausi رئيس أركان روميل. تبيَّن لستولين أن Gausi كان أيضًا ضد هتلر. وفي بيت روميل هيرلينغ في نهاية فبراير 1944 كان اللقاء المصيري، حيث ذهب ستولين هناك سرًا، وبعد ذلك تلقَّى ستولين تحذيرًا آخر من مصدر أمني كان روميل على علم أنه مدرج على قائمة المطلوب تصفيتهم بشكل فوري في حالة حدوث مقاومة عسكرية في ألمانيا، وقد علم أيضًا أن تليفونه مراقب، ومكالماته التليفونية كانت تُسجَّل من قبل أجهزة الأمن.

وانعقد الحوار السرِّي الذي استغرق ما بين خمس إلى ست ساعات، ولا يزال ستولين يذكر ما حدث، حيث قال: "لقد بدأ الحوار بمناقشة الموقف السياسي والعسكري في ألمانيا وكنا على اتفاق تام". عندئذ قلت لروميل: "إذا كنت على اتفاق معي على الموقف فيجب أن ترى ما يجب القيام به". أخبرته أيضًا أن بعض ضباط الجيش في الشرق اقترحوا اعتقال هتلر، وإجباره على أن يعلن من خلال الإذاعة تخلِّيه عن الحكم، وأيد روميل هذه الفكرة، ولم يكن روميل أبدا من قبل أو من بعد على علم بوجود خطة لقتل هتلر.

وقال ستولين: "أبلغت روميل أنه يعد في نظرنا الجنرال الأكثر شعبية، والأوْلى بكل احترام وتبجيل، وهو كذلك على المستوى الدولي". قلت له: "أنك الأمل الوحيد في منع نشوب حرب أهلية في ألمانيا، عليك أن تعيد لاسمك الحركة".

أضاف ستروليـن: "إني لم أبلغ روميل بأن هناك اقتراح بـأن يكـون رئيـسًا للـرايخ، واعتقد أن روميل لم يعلم بهذا إلا في آخر يوم قبل مصرعه".

"فتردد، فسألته ما إذا كان يرى أية فرصة للنصر في الحرب الدائرة بالأسلحة السرية، فقال إنه لا يعلم عن تلك الأسلحة إلا ما سمعه من خلال الدعاية، وأضاف أنه لا يـرى أية فرصة للنصر، فعلى المستوى العسكري ضاع النصر".

سألته: "هل ترى ما إذا كان هتلر يعلم ذلك؟" قال: "أشك في هـذا، وأعتقـد أنـه على أي حال يقوده الوهم"، وعندما سُئِلَ روميل عن أية وسيلة للحوار مع هتلر قال له إنه حاول كثيراً وفشل في ذلك، حيث إن الحاشية تشك فيه؛ ولذا فإنهم دائمًا يحبطوا أيـة محاولة لحوار مع هتلر فبورمان دائمًا هناك.

وانتهت المقابلة السرية بالاتفاق مع روميل بأن يحاول مقابلة هتلر، ومحاولة إخـضاعه للعقل والحكمـة، وفي حالـة الفـشل في ذلـك سيرسـل إليـه خطابًـا موضـحًا الموقـف، وموضحًا استحالة النصر سائلاً إياه قبول تبعاته، واتفق ستروليـن وروميـل أنـه في حالـة فشل المحاولات الثلاث فليس هنـاك إلا اتخـاذ إجـراء مباشـر. فكَّـر في ذلـك روميـل، وقال: "أعتقد أنه من واجبي تجاه ألمانيا حمايتها"، واطمأن سـتروليـن إلى أن روميـل لـن يخلف وعده، فقد كان رمزًا للشرف والأمانة، وعلاوة على ذلك فإن روميل اختلف عن كثير من الجنرالات بأن شجاعته لا تضاهَى.

وفي إبريل وجد ستروليـن حليفًا جديدًا عندما عـين الجنـرال سـبيدل رئيـسًا للأركـان الفيلد مارشال روميل، حيث أصبح علـى اتـصال مباشـر مـع المتـآمرين، وبـذلك فقـد أصبح على اتصال دائم معه ومـع روميـل، وقـد أجـرى سـبيدل مناقـشات مـع رئـيس الأركان السابق ستيبناجل والحاكم العسكري في فرنسا، وكـذلك الحـاكم العـسكري في بلجيكا، حيث شارك روميل في جانب من هذه المناقشات، وأصـبح في المـؤامرة، وكـان روميل وسبيدل يأملان في إجراء تفاوض مع إيزنهاور ومونتجومري، وكان في الحـسبان

أن تتم هذه الهدنة حتى لو لم يتم إقصاء هتلر عن الحكم ولو بشكل مستقل، وكان ذلك هو السبيل إلى إخلاء الأراضي المحتلة في غرب أوروبا.

لم يكن في استطاعة الحلفاء الموافقة على التفاوض مع ألمانيا دون موافقة روسيا، حيث إنه فيما بينهم لم يكن لأحدهم أن يتفاوض مع قوات المحور منفرداً؛ إلا أن الظروف المحيطة قد تجبرهم على قبول العرض الألماني دون شروط، حيث كبَّدت الحرب الآلاف من الجنود البريطانيين والأمريكيين، فقد توقعا موافقة تشرشل وروزفلت بلا شروط، وذلك للتخلص من خطر الجيش الأحمر.

وقد انعقد اجتماع آخر في منزل سبيدل بناءً على طلب روميل، وكتب الجنرال سبيدل مذكرة توضح الوضع القائم في ألمانيا، وأن ألمانيا في طريقها للدمار على يد هتلر. تخلَّص روميل ونجله مانفريد بعد ذلك من النسخة الأصلية التي تشتمل على الملاحظات الخاصة بالاجتماع التي أراد (سكرتير روميل) الاحتفاظ بها طبقًا لروتين الشعب الألماني الذي يولي اهتمامًا غير عادي في تدوين كل شيء مما قاد الكثير من المتآمرين إلى المشانق، فالمستند جد خطير رسم فيه الجنرال سبيدل صورة الموقف العسكري، وعندما فرغ من الاجتماع قال فون نوراث: "لو نفذت فرصتنا في التفاهم مع هتلر يجب إبلاغ روميل أن يستعد لاتخاذ إجراء على مسؤوليته"؛ كان ذلك ما يشعر به الآخرون. هذه هي الرسالة التي حملها الجنرال سبيدل.

استندت رغبة روميل في التصرف على نحو يخالف الحزب النازي من زاوية غريبة، فقد قرأ روايات إرنست جونجر الذي شارك في الحرب العالمية الأولى 1914ـ1918 في مقدمة الجيش؛ أي أنه تجرَّع ويلاتها، ورغم ذلك كانت له مقولة شهيرة: "إن الحرب أنبل مهمة قام بها الإنسان"، إلا أنه بعد ذلك كتب ضد النازيين من خلال روايته الرمزية "على رخام كليفس"، والتي مُنع نشرها في ذلك الحين. لقد رسم أرنست جونجر مشروع معاهدة سلام أراد أن يؤسسها على وحدة الفكر، حيث يمكن تحقيق ذلك من خلال التفاف شعوب أوروبا حول الفلسفة المسيحية، والقضاء على الجبهات

والصراعات، وهذه الفكرة من الممكن أن تكون وسيلة للقضاء على تهديد البلشيفية أثارت هذه الأفكار روميل، وأراد أن تتاح له الفرصة لنشر تلك الرواية.

ومنذ شهر فبراير كان روميل في موقع يحسد عليه، فقد كلَّفه هتلر ليتولى مسؤلية جدار الأطلنطي؛ للقضاء على الغزو على الشواطئ قبل التوغل للداخل، وكانت الصحافة الألمانية تتحدث عنه بكل تبجيل، وعلاوة على ذلك كان روميل يحظى بشعبية كبيرة ليس فقط على مستوى الجيش الألماني والشعب الألماني، ولكن أيضًا على مستوى جيوش الحلفاء، وذلك أن روميل كان على قناعة بأنه من الصعب هزيمة قوات الغزو؛ لذا ما كان أمامه إلا اقتراح هدنة مع الجنرالين إيزنهاور ومونتجومري.

ناقش روميل الأمر مع الأدميرال روجRuge قائلاً: "ليس من الحكمة أن نستمر في الحرب، فنحن نخسر مدينة كل يوم إذن فما الهدف؟ فالشيوعية في اجتياح لأوروبا، وانتصار على القوى الغربية"، وفي نفس الوقت رأى روميل أنه لا جدوى في اتفاقية سلام دون موافقة هتلر، إلا إذا نجح الغزو. "في أفريقيا كنت سيد قراري، كانت القوات تحتكم إليَّ أما هنا أتلقى أوامري من هتلر. هنا أتعرض لضغوط إعلامية. هنا لابد أن تصدق فكرة الأسلحة السرية الغامضة. هنا من يتحدث عن الاستسلام، ينظر إليه على أنه خائن من قبل مرؤوسيه، ولن يُتَّبع".

كان لابد من عمل محاولة للانتصار، وفي الوقت نفسه كان لابد من استعدادات للتفاوض مع الحلفاء، واستطاع روميل بمهاراته أن يسير في الاتجاهين كما لو كان فارسًا ممتطيًا لجوادين في اتجاهين مختلفين؛ أي مهارة هذه! فهو كقائد عسكري كان يبذل قصارى جهده؛ لرفع القوة المعنوية للجيش، ولبث العزيمة، والإصرار على النصر في نفوس جنوده لمنع هبوط قوات العدو. إلى جانب ذلك كان عليه تقوية المواقع الدفاعية الضعيفة، وتحصين جدار الأطلنطي إلى الحد الذي خدع الأعداء، فكان تصور قيادات الحلفاء لدرجة تحصين الجدار مبالغ فيها، وعندما نجحت قوات العدو في الهبوط قاتل بقوة، ولقى الغزاة قبالة الشواطئ لو اتبع روميل اتجاهًا واحدًا، وامتطى جوادًا واحدًا لكان موقفه أسهل بكثير.

وليس في الإمكان أفضل مما كان، فليس في استطاعة أي جنرال أن يفعل أكثر من ذلك، قياسًا على ظروف المعركة، فقد أبلى روميل بلاءً حسنًا، ليس ذلك فحسب، فقد أثبت ولاءه على المستوى العسكري لقائده ولجنوده على السواء، لقد كان حاسمًا في قراراته، ولكنها الظروف الطاحنة والسياسة الغاشمة التي كَبَّدته الخسائر في الأرواح، فهو ليس ممن يقبلون الدفع بالجنود إلى موت محقَّق، ولكنها السياسة.

تطورت الأمور من سيء إلى أسوأ، وما كان أمام روميل إلا أن يرسل الخطاب إلى هتلر طبقًا لما أتفق عليه في اجتماعه مع دكتور سترولين في شهر فبراير، فقد وضَّح في الخطاب مدى تفوق الحلفاء خاصة في القوات الجوية، مما لم يترك بصيصًا من الأمل في الانتصار، وقد عرض روميل البدائل على هتلر، حيث إنه أمام خيارين إما السلام وإما الدفاع، واستعد روميل للتفاوض مع الحلفاء إن لم يصرح له من قبل هتلر، ولكنه أصيب إصابة بالغة قبل أن يتلقى أي رد من هتلر.

إنها الهزيمة! هذا ما قد آلت إليه الأمور، فالموقف جَدُّ خطير، والإصابة بالغة، ليتها إصابة مميتة، لو كان الأمر كذلك لكان روميل أفضل حظًا، ولو علم روميل الغيب لتمنى ذلك. نُقل روميل إلى المستشفى، وفي المستشفى كان العناد والصراع مع المرض، وانتصر روميل، فسرعان ما أظهر حيويته وقوته، واستهانته بالإصابة. كان في زيارته البارون فون أسبيك، وجلس بجانب فراو روميل، فسعد لأنه تصور في بادئ الأمر أنه الطبيب، حيث لا مفر من النوم أو الرقاد كما أمره لشدة الإصابة، وحيث إن ذلك بلا شك لا يلقى قبولاً لدى روميل الذي تأبى نفسه النوم، وقد أحاطت الكوارث بجيشه ووطنه من كل جانب. وقف روميل وارتدى ملابسه، ثم طلب إلى صديقه أن يصوره من الجانب غير المصاب من وجهه، وطلب نشر الصورة، وبعد ذلك كتب روميل تقريراً إلى هتلر معلنًا له هزيمة ألمانيا.

وبعد إصابته ببضعة أيام زاره سبيدل وروج، وقد استطاع أن يحلق لحيته، مما أثار

خوف وغضب الطبيب الذي أمره بألا يتحرك، وأن يلزم الهدوء. أثار ذلك غضب روميل الثائر لوطنه، فكان ردُّه أشد لهجة، حيث قال: "لا تخبرني بما يجب أن أفعله، فأنا أعرف ما يجب أن أفعله"، وظل روج يزوره كل يوم ليقرأ له. قرأ له يومًا عن مشروع نفق يصل ما بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مما أسعد روميل. كان روميل يسعد للسماع عن مثل هذه المشروعات، فقد كان روميل يأمل باستخدام المد والجزر في توليد الطاقة في بريتاني، فقد كان يأمل روميل بأن يقيم مشروعًا تكنولوجيًّا وعمليًّا. تحدث روميل بحرية مع الأميرال روج عن الخطة، فقد حان الوقت لأن يعرف الشعب الحقيقة، وقد حان الوقت لتقديم الخائن للمحاكمة. إنه الشيطان بعينه، آن الأوان لمحاكمته، والكف عن تصويره للشعب كبطل قومي، لقد حان الوقت لتحطيم الصنم، ولن تتحطم أسطورة هتلر حتى يعلم الشعب الحقيقة.

"انتابني الخوف على روميل" هذا ما قاله روج متمنِّيًا لو كان روميل في أيدي الإنجليز، ولأنه يعرف مَن روميل، ولقوة أواصر الصداقة بينهما لم يجرؤ على اقتراح ذلك، وذهب روميل إلى بيته معارضًا رغبة الأطباء الذين أدركوا الخطر المحيط به، حيث قال كبير جراحي المخ عند فحص روميل أنه سيعيد النظر فيما علمه لتلاميذه، قال ذلك غير مصدق أن روميل على قيد الحياة بعد هذه الإصابة البالغة، وأمام إصرار روميل على أن يبرح المستشفى أمر كبير الجراحين أن يظل في بيته تحت رعاية مركزة، وعلى عكس ما كان متوقَّعًا لم تمر فترة قصيرة حتى ضُمِّدَت جراحه الجسدية، وتماثل للشفاء، ولكن مما لاحظت فراو روميل أنها لم تتلق مكالمة تليفونية قط ممن وجب عليهم الاطمئنان على صحة روميل من كبار الشخصيات في ألمانيا.

كانت فراو روميل تعلم أن قبضة هتلر اشتدت على زوجها، فهو خائن في رأي هتلر لمجرد صراحته، لقد توقع الهزيمة التي حدثت بالفعل رغم استبساله واستبسال جنوده، وفي مساء 20 يوليو حدثت محاولة اغتيال هتلر التي لم يقدر لها النجاح، فكان على أثر محاولة اغتيال هتلر الفاشلة أن سامت أجهزة الأمن الألمانية الكثير من الوطنيين الأبرياء

سوء العذاب، تعذيبًا واعتقالاً وقتلاً، ومن حاول النجاة منهم لم يكن أمامه إلا الانتحار، ولو فشل الانتحار لتجرَّع صنوفًا من العذاب.

في هبرلينجن حيث يقضي روميل فترة النقاهة في بيته سعد طبيب روميل لتماثله للشفاء، كان روميل في الحديقة حيث الشمس ساطعة يستعد للتمشية، وفي منتصف أغسطس حدث شيء يثير الشك، فقد حاول رجل الدخول للمنزل من خلال نفق يقود إلى المأوى المجهز ضد الغارات الجوية، ولكنه هرب عندما أطلق عليه الحرس الرصاص، ولم يُولِى أي انتباه لهذا الحادث، حيث كان في ذلك الوقت في ألمانيا الفارُّون من أسرى الحرب والعمال الأجانب، وفي السادس من سبتمبر عام 1945 زار روميل الجنرال سبيدل، وهي زيارة غير متوقَّعة في ذلك الحين، حيث أخبره سبيدل بتنحيته عن الخدمة العسكرية كرئيس للأركان للمجموعة (B)، وأن عليه المثول أمام الجنرال جوديفيان رئيس أركان الجيش. حسبما تقول فراو روميل إن سبيدل أخبرها بما تردد في تلك الأيام على لسان أعداء روميل الجنرالين كيتيل وجودلز أنه انهزامي، ولم يزد سبيدل على ذلك، حيث إنه كان يعلم الظروف الصحية الصعبة التي يمر بها روميل، وكان تعليق روميل أنهم يريدون كبش الفداء الذي يتحمل وزر موقفهم العسكري المتعسر في الغرب. أضاف روميل أن هذا ما يفسر لماذا تحدثت الصحافة والإذاعات في ألمانيا عن إصابة روميل، ولم يتحدثوا عن هجوم العدو، ويفسر ذلك أيضًا التباطؤ في نشر هذه الأنباء مقارنة بالصحف الأجنبية التي نشرت تلك الأنباء قبل ذلك بأيام.

فيما يخص الجنرال سبيدل لم يُعطَ فرصة للحضور إلى برلين؛ ربما لأنهم لم يدرسوا شخصيته جيدًا، فقد ظنوا أنه من الممكن أن يكرر ما حدث من المارشال فون كلوج، والجنرالين بيك وستيبناجل وغيرهم، فقد هجمت قوات الأمن على منزله في السادسة صباحًا، وقاموا بتفتيش البيت رغمًا عنه، وتمكنت فراو سبيدل من نزع صورة للجنرال بيك من على الحائط في غرفة المعيشة، حيث يوحي ذلك بأن الجنرال بيك كان موضع تبجيل واحترام. استطاعت فراو سبيدل إخفاء بعض المستندات. تم القبض على

الجنرال سبيدل وقاده رجال الأمن إلى شتوتجارت، ومنها إلى برلين تحت حراسة مشددة بالقطار، حيث أُودع في سجن الجويستابو. أبلغ مساعده الشخصي روميل بما حدث، أرسل روميل إلى هتلر خطابًا احتج فيه على ما حدث، أرسل روميل الخطاب إلى سيب ديتريش ليسلِّمه لهتلر شخصيًّا، ولم يعلم ما إذا كان هتلر قد تسلم الخطاب أم لا.

وفي نفس اليوم أبلغ بعض الأصدقاء فراو روميل أنهم رأوا رجلين مريبين يحاولان دخول المنزل، وكان الرجلان يحملان مستندات توضح أنهما مهندسان من ريجينز بيرد. قال الرجلان أن أعمالهما تتصل بالجيش.

في المساء فور علمه بالقبض على سبيدل حضر سترولين من شتوتجارت إلى هيرلينجين مخاطرًا بحياته، وجد سترولين بيت روميل محاطًا بحراسته، كما وجد روميل مكتئبًا، وإلى حد ما في حالة من الرعب، أشار إليه أن يتحدث همسًا، حيث إنه من الممكن وجود أجهزة تنُّصت، وكان على مكتب روميل مسدس سأله سترولين لماذا تريده؟ فأجاب روميل قائلاً: "إني لا أخاف الإنجليز والأمريكيين، ولكني أخاف الألمان والروس"، وبعد ذلك أطلع سترولين على الخطاب الذي أرسله إلى هتلر، وتناقش الرجلان في إمكانية مساعدة سبيدل، حيث أوضح روميل أنه اتصل تليفونيًا بقيادة الجيش، ولم يتوصل إلى رد مفيد، ولم يخبروه بسبب القبض على رئيس أركانه. كانت هذه هي المرة الأخيرة يتقابل فيها سترولين مع روميل حيًا، حيث اتصلت به فراو روميل بعد هذه المقابلة لتطلب إليه بألا يأتي إلى بيت روميل مرة أخرى، حيث إنها تخشى على زوجها من الجيستابو.

وبعد بضعة أيام استقبل روميل في منزله السيد مائير Maier رئيس الحزب المحلي من أولم Ulm. حضر ظاهريًا بدافع الصداقة، وبينما كان الصديقان يتناولان الشاي وجَّه الزائر سؤالاً إلى روميل ما إذا كان يثق بخَدَمه. أوضح الزائر سبب سؤاله، وهو ما صرح به رئيس قوات الأمن الخاصة (S.S) أن روميل لم يعد يؤمن بإمكانية تحقيق النصر،

وأنه أكْثَرَ من انتقاد هتلر والقيادة العليا للجيش. تواجد مانفريد أثناء ذلك الحوار، وشعر أن أبيه تحدث بصراحة شديدة، حيث قال لضيفه متعجبًا: "لماذا لا تنظر إلى الخريطة؟ الأمريكيون هنا والإنجليز هنا والروس هنا! فما جدوى الحوار عن النصر"، وعندما ذكر الزائر هتلر قاطعه روميل مشيراً إلى اسم هتلر "بالأحمق الملعون". تواصل إليه الزائر قائلاً: "كن أشد حرصًا، ما كان لك أن تقول ما قلت. ستجلب على نفسك مراقبة الجيستابو إن لم تكن تحت رقابتهم بالفعل". وبعد هذه الزيارة ذكر صحفي إيطالي قصة تفيد بأن مائير Maier بعد أن عاد إلى منزله كتب تقريراً مكونًا من ثلاثين صفحة تشتمل على الحوار الذي حدث بينه وبين روميل، وذهب إلى بيرلين في اليوم التالي، حيث قام بتسليم التقرير إلى بورمان شخصيًا.

لم تصدِّق عائلة روميل هذا، فمائير الذي جاء من هايدنهام (Heidenheim) قضى بعض الأشهر مع مانفريد روميل في معسكر اعتقال في ليندو (Lindau)، حيث أكد له أنه ليس لديه أدنى شك في أن والده مات مقتولاً، وبعد ذلك مات مائير في معسكر اعتقال، ولم يتم استجوابه.

مر شهر لازم فيه روميل المنزل استطاع بعد انقضائه أن يذهب بالسيارة على توبينجن (Tubingen) للعلاج. كان ذلك في العاشر من أكتوبر، وكان المارشال كيتيل (Keitel) قد أرسل برسالة يطلب فيها حضور روميل إلى بيرلين يوم العاشر من أكتوبر لمقابلة هامة معلمًا إياه بأن قطاراً خاصًا سيحمله في مساء التاسع من أكتوبر. لذلك طلب روميل من البروفيسير ألبير (Albrecht) بأن يؤجل استكمال علاجه، حيث تم استدعاؤه إلى بيرلين، ونصحه الطبيبان ألبير وستوك بألا يشرع في القيام بهذه الرحلة، حيث لا يتناسب ذلك مع علاجه. طلب روميل من سكرتيره الدينجر أن يبلغ كيتل بصفة شخصية بعدم سماح الأطباء له بالقيام بهذه الرحلة، وتحدث روميل ـ على حد قول فراو روميل ـ في التليفون إلى رئيس فرع الأفراد في الجيش الجنرال بيرجدورف (Burgdorf)، أبلغة روميل بما حدث، وطالب روميل بإبلاغ المارشال كيتيل بأن

الأطباء لن يسمحوا بسفره وهو في حالة صحية متدهورة. اقترح روميل إرسال مندوب من طرفهم إليه. أجاب بيرجدورف بأن هتلر استدعى المارشال كيتيل لمناقشة مستقبل روميل العسكري، بينما لم يتوقع روميل أي منصب عسكري بعدما حدث بينه وبين هتلر، وعلى أيَّة حال فإن روميل لم يكن مؤهَّلاً لأي منصب عسكري لشهور في ظل ظروفه الصحية، وعاد مانفريد ذلك اليوم إلى الوحدة.

ومرت خمسة أيام ولم يأت أخبار من بيرلين ـ والحديث لفراو روميل ـ، وفي الحادي عشر من أكتوبر أتى الأميرَال روج (Ruge)، وتناول العشاء، وقضى تلك الليلة معهم، واستمر الحديث حتى بعد منتصف الليل. أخبره روميل عن خبر استدعائه إلى بيرلين، وأنه رفض الذهاب لسوء حالته الصحية، وأضاف قائلاً: "لن أذهب إلى بيرلين حيًا، أعلم أنهم سيقتلونني في الطريق، ويعلنون أنني لقيت مصرعي على إثر حادث" اعتقد ـ والحديث لفراو روميل ـ أن ذلك الاعتقاد هيمن عليه ليومين.

وفي الثالث عشر من أكتوبر بينما كان روميل وألدينجر خارج المنزل استقبل أحد الجنود العاملين في منزل روميل مكالمة تليفونية من قيادة الجيش في شتوتجارت تفيد الرسالة بأن الجنرال برجدورف سيصل إلى هيرليجين اليوم التالي في فترة الظهيرة، وفي صحبته الجنرال مايزل من فرع الأفراد، حيث إنه ـ أي الجنرال مايزل ـ مكلَّف رسميًا منذ 20 يوليو بالتحقيق في قضايا الضباط المشتبه في تورطهم في محاولة اغتيال هتلر. عندما تسلَّم روميل الرسالة كاد ألا يتكلم، قال لألدينجر أن الجنرالين قادمان بلا شك للتحدث معه بشأن الغزو، أو عن منصب جديد، وظل ليومه صامتًا.

وفي السادسة من صباح اليوم التالي وصل مانفريد في إجازة. وجد مانفريد أباه مستيقظًا، فتناولا الإفطار معًا، ثم ذهبا للتمشية أخبر روميل ابنه بالزيارة المنتظرة. سأل مانفريد أباه: "لماذا سيأتيان؟ هل هو منصب جديد ينتظرك؟". أجاب روميل قائلاً: "هذا ما قيل".

ولاحظ مانفريد علامات القلق على وجه والده. تحدث روميل إلى ابنه عن مستقبله. أعرب له عن أمله بأن يكون طبيبًا وليس ضابطًا، وعاد روميل ومانفريد إلى المنزل في الحادية عشرة، وفي تمام الثانية عشرة ظهراً وصل الجنرال برجدورف ومعه الجنرال مايزل والرائدين إيرينبرجر وأوردونانز فيزير حضرا في سيارة خضراء صغيرة يرتدي سائقها الزى الأسود الخاص بقوات الأمن الخاصة (S.S)، صافح الجنرالان روميل، حيث قدم لهما فراو روميل ومانفريد وكابتين ألدينجر، وبعد لحظة قال برجدورف إنه يود أن يتحدث مع المارشال روميل منفرداً. ذهبت فراو روميل إلى حجرتها في الدور الأعلى، وقاد روميل برجدورف ومايزل إلى الحجرات السفلية. أمر روميل ألدينجر وطلب منه أن يحضر أوراقا كان قد أمره من قبل بإعداد ملف منها، حيث تشتمل ما أصدره روميل من أوامر وتقارير أثناء معارك نورماندي. شك روميل أنه سيتم استجوابه بشأن الغزو. كان الملف بلا شك منظَّمًا، واستمر ألدينجر في حديث مع الرائد إيرينبرجر خارج البوابة الأمامية، بينما ذهب مانفريد لتلوين بعض الخرائط لوالده. بعد ساعة خرج الجنرال مايزل وتبعه الجنرال برجدورف. لم يكن روميل معهم، حيث صعد السلم متجهًا إلى زوجته.

وعندما دخل روميل حجرتي ـ الحديث لفراو روميل ـ كان وجهه معبراً عن شدة الاضطراب والأسى، فسألته ماذا حدث؟ ماذا بك؟ هل أنت مرهق؟ فنظر إلىَّ وأجاب قائلاً: "لقد جئت لأودعك سأموت في ربع ساعة يتهمونني بالمشاركة في محاولة اغتيال هتلر. يبدو أن اسمي كان متضمنًا في قائمة جورديلر كرئيس للرايخ، فأنا لم أر جورديلر في حياتي، ولكنهم يقولون إن هذا ما اعترف به ستيلبنجال، والجنرال سبيدل والعقيد فون هو فاكور. إنها الخطة المتبعة لكني أخبرتهما أني لا أصدق ذلك.. خيَّرني هتلر بين الانتحار بالسم والمحاكمة أمام محكمة الشعب، وقد أحضروا السم معهم، وأخبروني أن مفعوله يسري في خلال ثلاث ثواني".

حاولت فراو روميل أن تقنع زوجها بقبول المحاكمة، حيث إنه لم يكن أبدًا طرفًا في

محاولة اغتيال هتلر، ولم يكن أبدًا ليوافق على اغتياله، ولكن روميل أصر على الانتحار قائلاً: "لن أخف من المحاكمة أمام الشعب؛ لأني استطيع الدفاع عن نفسي، ولكني على يقين أني لن أصل بيرلين حيًا".

وبينما كان روميل يودِّع زوجته دخل عليه مانفريد مبتهجًا ومتشوقًا، كان يتطلع إلى منصب أبيه الجديد، كان متشوقًا ليرى أبيه مكرَّمًا في ذلك الحين، كان الجنرالان ينتظران روميل، ودع روميل ابنه، واستدار، فدخل الحجرة المجاورة حيث تبعه مانفريد. طلب روميل من خادمه ليبحث عن ألدينجر، حيث أوضح له ما كان استعاد روميل شيئًا من الهدوء وضبط النفس، سمع ألدينجر فراو روميل وهي تبكي بمرارة في حجرتها. قال ألدينجر إنه أشار عليه بالفرار، أو التخلص من الجنرالين بالرصاص، ولكنه رفض حيث إنهما ينفذان أوامر. اقتنع روميل بالانتحار حماية لأسرته. فقد وعداه بأن تعيش أسرته مكرَّمة من بعده، وأن تقام له جنازة عسكرية تكريمًا له، ومن جانب آخر فقد هُدِّدَ بالإعدام شنقًا بعد محاكمة أمام الشعب، ولا يقبل روميل أن يعدم شنقًا بسبب هتلر. عبر عن ذلك بقوة قائلاً: "لقد اتخذت قراري، فلن أسمح لنفسي أن أعدم شنقًا بسبب هتلر، فأنا لم أخطط لجريمة، وكل ما فعلته كان لخدمة وطني، ولكن ليس أمامي إلا ذلك. ففي خلال نصف ساعة سيتصل أحدهم تليفونيًا لإخبارهم بأني لقيت مصرعي على إثر حادث، وليس هناك مجال للجدل في ذلك الشأن".

شعر بعض المتآمرين الذين نجوا أن روميل كان يجب أن يصر على المحاكمة أمام محكمة الشعب، حيث كان في استطاعته أن يضرب المفسدين الضربة القاضية، كان من الممكن أن يفضح هتلر، إن وقوف روميل في قفص الاتهام وحده كفيل أن يهز ثقة الشعب في النظام، ولكنها الظروف القاسية، كان من السهل أن يفعل ذلك روميل لو كان متعصبًا، ولو كان مستعدًا للتضحية بزوجته وابنه، ولو كان في صحة جيدة، ولو كان في استطاعته الوصول إلى بيرلين حيًا، ولو كان مستعدًا بأن يتهم بالخيانة، ولو كان مستعدًا لتنفيذ حكم الإعدام.

وبعد أن اتخذ قراره نزل روميل مع مانفريد وألدينجر. كان الجنرالان ينظران إلى الحديقة، دخل روميل السيارة وتبعه الجنرالان والرائدان، وبعد ذلك بعشرين دقيقة استقبل ألدينجر مكالمة تليفونية كان الرائد إيرينبرجر يتحدث من مدينة أولم، حيث أبلغ ألدينجر بأن شيئًا مفزعًا قد حدث. لقد لقى المارشال روميل مصرعه على إثر نزيف في المخ فاجأه وهو في السيارة، وكلف ألدينجر بأن يخبر فراو روميل بذلك، واندفع ألدينجر إلى فراو روميل، ولم يكن في حاجة بأن يخبرها بما سمع، وبعد مرور نصف ساعة سمع صوت سيارة خارج المنزل، ذهب ألدينجر إلى الباب، حيث حضر إيرينبرجر وقد أراد مقابلة فراو روميل. بعدها صعد إليها ألدينجر وعاد أبلغه ألدينجر بأنها لم تكن لتستطع مقابلته، فلم يصر على مقابلتها.

وبينما كان ألدينجر في المستشفى حضر العقيد كوزماني (Kuzmany) قائد القوات في أولم إلى منزل روميل في هيرلينجين. رأته فراو روميل كان متأثرًا على حد بعيد بمصرع روميل. قال إن الجنرالين برجدورف ومايزل أعلنا مصرع المارشال روميل، وأمرا بإقامة جنازة عسكرية له، وبعد الظهر اصطحب ألدينجر فراو روميل ومانفريد إلى المستشفى. قال كبير الأطباء إن الجنرالين برجدورف ومايزل أحضرا المارشال روميل ميتًا في الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة، وبناءًا على أوامرهما فقد حقنته بحقنة منشطة للقلب، وللأسف لم يجدي ذلك. فقد فارق الماشال الحياة بالفعل. كان صوت الطبيب خافتًا. كان الطبيب يريد أن يضيف شيئًا، ولكن شيئًا ما منعه من ذلك. قالت فراو روميل: "رأيت على وجه زوجي تعبيرات لم أرها من قبل، ولم تزل على قناع موته. كانت تعبيرات ازدراء ما رأينا قط على روميل هذه الدرجة من الازدراء"، وفي الخامس عشر من مايو ذهبوا لاستقبال شقيقة روميل في محطة السكة الحديد، حيث تم استدعاؤها لحضور الجنازة العسكرية، وقد أُمرَ ألدينجر بالحضور في مقر القيادة العسكرية في مدينة أولم، وقد أخذوه معهم إلى هناك، "وبينما كنا في الخارج ـ والحديث لفراو روميل ـ حضر الجنرال مايزل الذي تظاهر بتعاطفه معي وجاءني لمواساتي،

فابتعدت عنه متجاهلة إياه، ولم أتكلم قط" ، وكان مايزال قد استفسر من ألدينجر عن موقفي تجاه ما حدث، وعندما حضرت شقيقة المارشال روميل لاحظت ما لاحظت ـ والحديث لفراو روميل ـ، فقد رأت تعبيرات الازدراء على وجهه، ولم تكن قد أُعْلِمَت حتى رأته بما حدث له.

نُقِلَ جثمان روميل إلى البيت، ووضع راقداً تحت راية الصليب المعقوف، وقد كُشِفَ وجهه. كان ذلك في نفس الغرفة التي كان قد قابل بها الجنرالين وبرجدورف ومايزل، وقد وقف ضابطان كحراسة على الجثمان طبقًا للأوامر العسكرية من قبل قيادة الجيش في مدينة أولم، وبعد ذلك قُتِلَ الجنرال برجدورف في الأيام الأخيرة في القتال في برلين.

وفي إطار تحقيق تم مع مايزل أمام محكمة أقيمت في أعقاب القضاء على الحكم النازي، وانتهاء الحرب ذكر الجنرال مايزل بعض التفاصيل عن مصرع روميل، حيث قال: "إن السيارة التي استقلت روميل وبرجدورف وأنا ابتعدت حوالي بضع مئات من الأميال عن منزل المارشال روميل، وهناك أمرني برجدورف أنا والسائق بأن نخرج من السيارة، وانفرد بروميل لخمس دقائق، ثم خرج من السيارة وظل يتحرك أمام السيارة لمدة خمس دقائق ثم أشار لنا. عندما ذهبنا كان المارشال روميل في أنفاسه الأخيرة" . أخبر مايزل المحكمة أنه لا يصدق أن يتورط روميل في مؤامرة قتل هتلر، بينما كان من المقربين إليه.

وقد تم استدعاء فراو روميل إلى المحكمة لتدلى بشهادتها في المحكمة، ولكنها رفضت المثول أمام المحكمة؛ معللة ذلك بأنها لا تقبل رؤية مايزل، ولو في قفص الاتهام. أُدين الجنرال مايزل، وحُكِمَ عليه بسنتين سجن، ولكن أطلق سراحه، حيث كان قد قضى مدة السجن محتجزاً على ذمة القضية قبل المحاكمة.

وعند الاستفسار عن شخصيتي برجدورف ومايزل فلم نسمع عن أحدهما خيراً قط. أما برجدورف فهناك من أوجز شخصيته بأنه "جزار سليط اللسان، وأنه سِكِّير لا

تتناسب أخلاقه مع الجيش، ولا يجب بأي حال من الأحوال أن يحسب على الجيش جنرال" ، وأما مايزل فقد قال عنه أحد ممن يعرفونه جيداً من جنرالات الجيش الألماني أنه : "ليس هناك من هو أدنأ منه خلقًا، وأنه إن كانت للدناءة درجات فتأكد أنه في الدرك الأسفل منها" ، بل إن الجنرال جوهان كرامر تمنى لو تمكن من قتل مايزل.

وبإعلان وفاة روميل تدفقت البرقيات وخطابات العزاء، وكان هتلر قد أرسل إلى فراو روميل رسالة عزاء ومواساة موجزة في السابع عشر من أكتوبر، هذا نصها: "أرجو أن تتقبلي عزائي وأسفي العميق لوفاة المارشال روميل الذي سيظل اسمه مرتبطًا بالبطولة والشجاعة" .

وأرسل الدكتور جوبلز وزير دعاية هتلر والسيدة قرينته عميق أسفهما لفقد المارشال روميل.

وفي نَعْي روميل قال جوهيم ريبينتروب (Joachim von Ribbentrop) أنه حزن حزنًا شديداً لفقده كنتيجة لما أصابه من جراح خطيرة في المعركة في فرنسا.

وقال الجنرال كسرينج كنت أختلف مع روميل، ولكني أحترمه وأقدِّره، وكم كنت سعيداً عندما سمعت بتعينه كقائد للعمليات الحربية في الغرب، كان سبب سعادتي بذلك أني أعلم جسارة روميل، وامتيازه في القتال مع الإنجليز والأمريكان، وأن ذلك سيضاف كرصيد لقواتنا المسلحة. كان روميل رمزًا للشجاعة والإقدام، وكان ذو شخصية ملهمة.

وكتب ليوكرال كامبرا وهو جنرال إيطالي يقول: "كان روميل مثلاً يُحتذَى في الشجاعة والإقدام في المعركة. سوف يعيش روميل في قلب وعقل كل من شرفوا بمعرفته مثلي" .

كما نعى روميل المارشال موديل (Model) الذي خلف فون كلوج (Von Klug)

كرئيس للأركان، حيث وصف روميل قائلاً: "إنه كان مثلاً أعلى في الشجاعة والجسارة والحكمة، وكان دائمًا في مقدمة جنوده، وكان مدرسة في القتال تعلم منه جنوده الكثير عمليًا في المعركة، وكان سلوكه العسكري نموذجًا يحتذى به".

أما كيتيل وجودلز وبرجمان فلم يرسل أحد منهم ببرقية عزاء في ذلك الحين أو بعد ذلك.

أما هيملر (Himmler) رئيس الجستابو فقد أرسل تعزيته بشكل مختلف، حيث أوفد مساعده الشخصي بيرندت (Berndt) حاملاً رسالة منه، وكانت محتوى الرسالة أنه علم القصة كاملة، وكان ذلك مما أرعبه، وكان بيرندت قد عمل مع جهاز الأمن الخاص، ثم نقل إلى وزارة الإعلام حيث كان يعمل من قبل، ثم طرده جوبلز (Goebbels) بسبب ترديده لكلمة روميل بأن النصر "قد ضاع". أضاف بيرندت لرسالة هيملر أن هتلر ـ كان بريئًا ـ ما حدث كان من كيد ومن فعل كيتيل وجودلز، وبعد ذلك أرسل هيملر خطابًا آخر، ثم أقدم على الانتحار قبل أن يسقط في إيدي الحلفاء حتى لا يحاسب على جرائمه الكبرى ضد الإنسانية. فقد أوضح أنه كان هناك هدف خطير من موت روميل، ولم يكن هتلر على علم بذلك الهدف، ولكن من المعروف أن كيتيل وجودلز لن يقدما على أمر خطير بدون الرجوع إلى قائدهما، ولم تكن كثير من عمليات القتل لتتم دون الرجوع إليه، وفي تلك الحالات ـ أي في حالات الاغتيالات الكبرى على مستوى المارشالات ـ لم تكن المسؤولية محددة، حيث تكون الاتفاقات شفهية ولم تكن مدونة، وفي حالة روميل فإن عائلته وأصدقاءه لم يكونوا ليجهلوا شخصية من أصدر إشارة البدء.

شُيِّعَت الجنازة في الثامن عشر من أكتوبر كانت الجنازة منظمة ومفصلة. حضر الجنازة شخصيات عسكرية هامة منهم من شارك في قتله قبل المشاركة في تشيع جنازته. يا له من موقف ساخر! . أقيم الحداد بناءً على أوامر الزعيم هتلر الذي كان قد أصدر أمرًا أيضًا من قبل بأن تقام جنازة عسكرية على أعلى مستوى، واصطف الجنود خلف

نعش روميل، وقد اتشح بالعلم الألماني ذي الصليب المعقوف. حُملَ النعش من بيت روميل إلى قاعة في مدينة أوتين (Uitn)، حيث انشح المبني بالرايات. حُملت العصا المارشالية والخوذة والسيف على منصة النعش. كما حملت النياشين التي مُنحت لروميل لجهوده المشكورة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، كم كانت متألقة. اصطفت ساحة الجنازة بالجنود والضباط من كافة الأسلحة، ومعهم فرقة الموسيقى العسكرية. لم تقتصر تلك الجنازة المهيبة والعجيبة أيضًا على العسكريين فقط، فقد تبع الجنازة أطفال ضرب لهم روميل مثلاً يحتذى، فقد كان بطلاً قوميًا قلما يتكرر عبر التاريخ، ولم تَخْلُ الجنازة من أعضاء الحزب النازي. ألقى المارشال فون راندستيد (Von Rundstedt) كلمة نيابة عن الزعيم، موضحًا أن الفقيد مات مكافحًا في ساحة الجهاد والشرف، وقد أوضح كم المعاناة التي مر بها روميل، وما أصابه من جراح في أثناء العمليات العسكرية في نورماندي، فقد اختطفه القدر القاسي من بيننا، بينما كان يقاتل ببسالة وجسارة. كما أشار إلى تاريخ روميل العسكري، وما قدم لوطنه في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وإلى حملات روميل في أفريقيا ضد العدو، كما أشار المارشال فون راندستيد أيضًا إلى حقيقة أن روميل لم يَحْظَ بالتقدير والاحترام والتبجيل في وطنه فقط، بل كان ولا يزال محل احترام وتقدير وتبجيل عند الأعداء، ومر المارشال فون راندستيد على نورماندي مرور الكرام. فقد اختزل أحداث نورماندي قائلاً إن روميل قاتل في نورماندي بجسارة ومثابرة ضد الغزو، ولم يبال بنفسه، فقد كان يؤثر الوطن وأمنه على نفسه، ولم ينتبه إلى ما أحاط به من أخطار.

استطاع المارشال أو الكاتب المجهول لهذا الخطاب أن يوازن بين الخطابة والسخرية عندما قال عبارة: "إن هذا المقاتل الذي لا يمل ولا يتعب من أجل الزعيم ومن أجل الوطن كان متشبعًا بالروح الوطنية الاشتراكية، هذه الروح هي التي منحته القوة وهي الباعث الحقيقي لأعماله البطولية"، واختتم المتحدث خطابه بكلمات خالدة "لقد وهب قلبه للزعيم".

وباسم هتلر وضع إكليلا من الورود، بينما عزفت الموسيقى العسكرية، وأدى الجنود التحية العسكرية، وحمل جثمان روميل على عربة مدفع إلى مثواه الأخير وسط جماهير غفيرة، وودَّعه شعب ألمانيا بكل الحزن والأسف، لقد كان علمًا من أعلام العسكرية الألمانية ومدرسة في الفروسية والنبل وقلبًا شجاعًا قلما يجود تاريخ ألمانيا بمثله، وحضر الأميرال روج من بيرلين في قطار خاص ليمثل سلاح البحرية الألماني. فلم يعرف الحقيقة، ولكنه كان يشك في شيء تنبه إليه من أسلوب الخطاب الذي ألقاه المارشال فون راندستيد في مبنى البلدية، ومن عدم حضور المارشال فون راندستيد إلى المحرقة، وكان ممن شاركن في توديع روميل فراو سبيدل، وفراو سترولين، وفراو فون نوراث. لم تتوقع فراو سبيدل أن يطلق سراح زوجها، حيث قلما تفتح أبواب السجون الألمانية لغير استقبال النزلاء الجدد، فأطفالها في خطر شديد. أما سترولين فقد رسم خياله الحقيقة فور إعلام فراو روميل إياه بوفاة روميل. ألم يكن هو الذي استدرج روميل إلى هذا السبيل، كان فون نوراث أيضًا متورطًا في المؤامرة. الجيستابو أعينهم متيقظة ومنتشرة في كل مكان مستترين في الملابس المدنية، كانت عين الجستابو تراقب حتى ما يحدث داخل البيوت؛ لذا تخوَّفت فراو سبيدل أن ترد على تحية سترولين.

نعم إن القبض على أحد المشاركين في الجنازة غير وارد في مثل ذلك المشهد التمثيلي الرائع. كان الفصل الأخير مأساويًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى احتاج إلى كثير من التضحية، وأسفا على روميل تتجه إليه الآن أعين المشاهدين بحزن وأسى ومرارة.

وفي اليوم التالي حُمل رفات روميل إلى هيرلينجين حيث مثواه الأخير في واد ضيق فوق مرتفع خشبي منحدر. هيرلينجين قرية جميلة بيوتها بيضاء ذو أسقف حمراء ونوافذها جميلة، يمر بين هذه البيوت الجميلة جدول مائي تجري به الماء بانسيابية، تلك القرية تتجمل أكثر ما تتجمل في الربيع، حيث تغطي الزهور الحدائق، وتتجمل أيضًا في الخريف. تتحول أوراق الشجر إلى لون بني ذهبي، وهناك أيضًا كنيسة أثرية ساحرة من حيث البناء واللون رمَّمها الملك فيرتيمبرج (Wiirttemberg) الأول. تحتوي تلك

الكنيسة على آثار ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ومدافن الكنيسة مشتركة بين الكاثوليك والبروتوستانت رغم أن الكنيسة كاثوليكية هي الأصل، وفي الربيع تغطي المقابر بأنواع الزهور: زهرة الثالوث والمنثور، وأمام كل مقبرة يوجد صليب صغير. بعض هذه المدافن تحوي بعض من ماتوا في شمال أفريقيا من شباب ألمانيا، وتحاط تلك المدافن بجدار زرعت أمامه شجيرات مزهرة. هنا دفن روميل.. هناك وقفت فراو روميل، وقفت على قبر زوجها الذي قُتل غدراً لا لخيانته لوطنه، بل لعشقه لوطنه. كان لي سؤال أتمنى لو تجيبه، ولكني ظننت أنه من الصعوبة أن تجيبه. أردت أن أسألها وأعلم أنها من تقف على قبر ذلك الزوج. سألتها ألم يغرها الانتقام لأن تفضح المتآمرين على زوجها. سألتها وأعلم أنها من الشجاعة ومن قوة الجأش والحكمة أن ترد على مثل ذلك السؤال. فقد علمت البعض عن شخصيتها، فأجابتني " كان من الصعب أن أفعل ذلك، ففي مبنى البلدية حينما كان يتحدث المارشال فون راندستيد أردت وحاولت أن أعلن على الملأ أمام الجماهير الغفيرة أنهم ممثلون أفّاكون مخادعون، ولكن هل يجدي ذلك؟ كان في إمكانهم أن يكتموا صراخي، وأن يفضحوا زوجي، لقد مات روميل، وأصبح من واجبي أن أحمي ابني مانفريد من كيد الخائنين وإفك الأفاكين. أنا لا أبالي بنفسي، ولكني لا أقبل أن أرى مصير ابني كمصير أقارب من تورط في أحداث العشرين من يوليو رغم أنهم لم يكونوا أقارب من الدرجة الأولى. لن أتحمل أن تدور الدائرة على ابني كما دارت على أبيه، إنهم يعلمون وقد أعلنوا ذلك لروميل، فقد هدده بما نحذر ونخاف. كان ذلك قرار زوجي، ولن أخالفه بعدما غُدِرَ به، ورحل عن عالمنا ".

وهكذا كان كل شيء يمشي تبعًا لخطة مرسومة، ولعل أحد المراقبين المنافقين يسأل لماذا تلعثم المارشال فون راندستيد في قراءته للخطاب كما لو كان قد تسلمه قبيل تلاوته بخمس دقائق؟ ولماذا لم يحاول أن يتحدث إلى فراو روميل؟ لماذا رفع المارشال فون راندستيد عينيه ونظر بمرارة إلى ستزولين وفون نوراث عندما مر أمامهم؟ قال ستزولين:

"لعله تفهَّم الدور الذي أُكره على أن يلعبه، كما أنه يكره أسلوب حياتهم" ، فهو رجل عسكري يمتاز بالنبل والشهامة، ولا تتفق مبادئه مع هتلر أو أعضاء الحزب النازي ويتشاءم من رؤيتهم.

تساءل أحد العاملين في قوات الأمن الخاص وهو من فريق سترولين: ماذا جرى بهذه الجنازة؟ لقد شعرت بشيء غريب يخيِّم عليها. إنني أشعر بذلك، ولم تكن هذه الشكوك عامة، كان ذلك فقط في دائرة الحزب النازي والقيادة العليا للقوات المسلحة. أما عامة الشعب الألماني فكانوا على يقين أن روميل مات متأثراً بجراحه التي حدثت له في ساحة القتال، وقد حضروا جنازته، وقد أُغرقوا في وهمهم، كما أحاط بهم الحزن على روميل.

طغى حزن الشعب الألماني على روميل على حزنهم لما تمر به بلادهم من ظروف صعبة، شعروا به أكثر من شعورهم بأنفسهم. سألت كابتن (Hartmann) هارتمان من هايدينهايم (Heidenheim) ما إذا كانت لدية أية شكوك تدور بخاطره فيما يخص موت المارشال روميل. أجابني سلبًا في بادئ الأمر، ولم تمر ثلاثة أيام على يوم الجنازة حيث كنت قد خرجت للتمشية مع صديق، فوجَّه لي سؤالاً. سألني ما إذا كنت أعرف شيئًا، حيث تبدو الأمور غريبة. بدأت أفكر فيما أوحى إليَّ السؤال بشيء من الشك. تحقَّقت بقدر ما استطعت، وثبت أنه لم تبد على روميل قبل موته علامات العنف. لقد كان هادئًا تمامًا. لم ير عليه آثار إصابة من طلق ناري أو أي شيء من هذا القبيل، ومما يثير الشك أنه عندما كان في هيرلينجين منذ ثلاثة أسابيع كان في ذلك الوقت قد شُفِيَ تمامًا مما أصابه من جروح، وكان أيضًا قد شُفِيَ مما أصابه من ألم نفسي، وكان صافي الذهن، حتى أنه كان يتحدث عن الحرب العالمية الأولى وقد ذكر الكثير من الأسماء، وكل تاريخ تعلق بما تحدث عنه، ولم يبدُ عليه أن يتوقع عودته إلى الجيش لممارسة عمله العسكري مرة أخرى؛ ذلك لأن جورينج وأعضاء القيادة العليا للجيش (O.K.H) كانوا ضده، وكان روميل قد أكد أن ألمانيا قد خسرت الحرب تمامًا. لم يذكر روميل أي شيء

يعبر عن مخاوف لديه من أي شيء يخص أمنه الشخصي .

واستمر هارتمان في تساؤلاته عن روميل ، وعما إذا كان هناك شيء غريب قد حدث له ، كان الشك ينتابه حتى عام 1945 حينما أبلغته فراو روميل بالحقيقة .

وبدأت الحياة تدب من جديد في المنزل المنعزل ، فهو منعزل فوق مرتفع ، وبدأت فراو روميل تستعيد بعض شجاعتها . كان هناك بعض المتغيرات ، فقد استُبْدلَ الخدم العسكريون الذين كانوا يعملون في بيت روميل بفرد واحد كبير السن معتل الصحة ، كان يعرج على إحدى ساقيه ، حيث إنه كان مصابًا إصابة بالغة في ساقه ، ودُمِّرَ صدره على أثر شظايا في أثناء العمليات الحربية ، فكان كالقعيد ؛ لذا كانت فراو روميل تكلفه بمهام بسيطة من بين هذه المهام أن يرد على التليفون ، وفي يوم من أيام شهر أكتوبر استقبل مكالمة تليفونية من بيرجدورف ومايزل ، أخبراه بأنهما قادمان ، وبعد ذلك ـ أي بعد الجنازة بفترة قصيرة ـ تم استدعاء الخادم مرة أخرى للعمل بالخدمة العسكرية رغم اعتلال صحته ، مما أحزن فراو روميل حزنًا شديدًا على ذلك الخادم بدافع إنساني فقط ، فاعترضت ؛ لأن الرجل كان في حالة صحية حرجة لا تؤهله للعودة للخدمة العسكرية وتبعاتها ، وقد طلبت وساطة أحد أصدقائها في قيادة الجيش ، فعاد الخادم إلى منزلها ، ولكن سرعان ما طلب للخدمة العسكرية مرة أخرى ، واستُدْعى للعمل الحربي في كتيبته حيث قُتل بعد فترة قصيرة . فما سبب قتل الرجل؟ ربما قُتل ؛ لأنه كان مريضًا ، فلا منفعة منه للجيش ، وربما قُتل ، لأن أرملة المارشال روميل الذي كان في خدمة الجيش لم يكن لها الحق بعد موت زوجها في أن يعمل معها مجند من الجيش . من العجيب في هذا الموقف أن يهتم جنرالان في الجيش بهذا الشأن ، وأن يستخدما إنسانًا مريضًا ، ويمتهناه بهذه الوحشية حتى القتل من أجل تصفية حسابات . كان ذلك الموقف إحدى وسائل المضايقات التي كان يبتدعها أعداء روميل بعد موته . كانت هناك مضايقات أخرى من جانب قوات الأمن الخاصة . كان هناك من يستفز فراو روميل ومانفريد من خلال المراقبة والمتابعة ، فقد اعترضت رجلين من قوات الأمن الخاصة ، حيث وجدتهما بحديقة منزلها في الليل ، وعلى إثر اعتراضها ، ومواجهتها تركا الحديقة . قالت فراو

روميل إنها كانت في غاية القلق ليس على نفسها فقط، بل أيضًا على ابنها مانفريد. قالت إنها في غاية الخوف أن يقتل ابنها، ويلقى ما لقي أباه. ولم يكن ذلك صعبًا في ظل تلك الظروف المتعسرة، وكان مانفريد كذلك قد بَقِيَ قَلِقًا على أمه وعلى نفسه.

قال: "ربما كان سبب هذه المضايقات أنهم يعرفون أني من الممكن أن أتكلم، حيث إني صغير، حتى في عملي العسكري أجد كثيرًا من المضايقات من قائد الكتيبة، فهو نازي متشدد، ودائمًا ما يحاول إيذائي. أتمنى لو كان ذلك مجرد سوء ظن مني، وعلى أي حال فقد اعددت نفسي للسجن في إبريل، حيث يأتي الأمريكان إلى أولم".

لكنه كان محظوظًا حينما كان في طريقه إلى الفرنسيين في رايدلينجين (Riedlingen) في منطقة الدانوب (Danube)، حيث فوجئ بأحد أفراد قوات الأمن الخاصة التي كانت تؤدي آخر مهام لها في ذلك الحين. كان من المهام المكلفين بها، ومما يسرهم بلا شك أن يعتقلوا أي جندي ألماني يجدونه خارج المنطقة المحددة له بدون سبب مناسب. فلم يكن وجودهم تأمينًا للجيش بقدر ما كان إهانة للجنود الألمان؛ إذ كانت قوات الأمن الخاصة أخر شعار من شعارات النازية. عورض مانفريد واستُجوِب، وكان قد استعد، ولكنه سرعان ما فرَّ. كان في ذلك الوقت يحاول أن يجد السرية التابع لها. سمحت له قوات الأمن الخاصة بالمرور، وبعد ذلك مباشرة وقع مانفريد في أسر الفرنسيين، وعندما علم الجنرال دو لتر دو تاسيني (de Lattre de Tassigny) أنه ابن المارشال روميل أحسن معاملته، وكلفه بمهمة الترجمة، وسأله عن أحوال فراو روميل بعد رحيل زوجها.

كان هروب الجنرال سبيدل معجزة، ونتج ذلك عن ذكائه الخارق، ورباطة جأشه، والقدرة على ضبط النفس. لقد أثبت هروبه أن الصراع بين العقل والوحشية يُحْسَم للعقل، وأن الصراع بين الحكماء والجلادين بلا شك يحسم لحساب الحكماء. عندما قبض عليه رجال الجيستابو كانوا على يقين بأنه مذنب، فقد كان في قائمة الدكتور جوير ديلر الذي اعترف بسبب التعذيب، وذكر كل أسماء المتآمرين، قال الجنرال سبيدل:

"لقد ظللت هادئًا تمامًا أثناء التحقيقات، وجادلتهم بالمنطق، وحكمت عقلي، وسيطرت على مشاعري، وكانت لحظة عصيبة حينما واجهوني بالعقيد فون هوفاكور (Von Hofackcr) التابع لمجموعة الجنرال فون ستيبناجيل (Von Stiilpnage)، حيث استطعت أن أسيطر عليه، وأواجهه حتى قال لي إنهم لم يدونوا ما قد شهد به بدقة. استطاع الجنرال سبيدل بأسلوبه أن ينجو من استجوابين، بالإضافة لاستجوابات أخرى لم يستطع إقناع الجيستابو ببراءته تمامًا، ولكنه تفوق عليهم وأقنعهم بقدر حماقتهم، وبذلك استطاع إنقاذ حياته، كما استطاع أيضًا أن يقنعهم بأن روميل لم يكن من المتآمرين ضد هتلر في مؤامرة 20 يوليو، فقد جادلهم بالحكمة لا بالمشاعر، ولكن الخطورة على روميل كانت تكمن في إثارة غضب هتلر ضده. ثار هتلر ليس لخطأ ارتكبه روميل، ولكن لأنه ثبت أن روميل كان محقًا، بينما كان هتلر وكيتيل وجودلز على خطأ في مواقفهم في أفريقيا وفي نورماندي. كانت الكراهية والحقد سبب ما حدث لروميل، وهذه هي وسيلتهم في التعبير عن الحقد والكراهية. الموقف مع سبيدل كان مختلفًا تمامًا، وكان من الممكن أيضًا أن يُتخذ إعدام رئيس أركان روميل كسبب للشك في مصرع روميل.

إذن فقد استطاع الجنرال سبيدل، أو الدكتور سبيدل، أو الفيلسوف سبيدل أن يضرب أهداف القضاء النازي، ولم يطلق سراحه، فالجيستابو لا يمكن أن يستسلموا لضحاياهم بسهولة، فهم يحتجزون ضحاياهم لحين الحصول على أدلة لا جدال فيها، وظل سبيدل في الاعتقال حتى الأسابيع التي سبقت نهاية الحرب.

أعمل سبيدل فكره العسكري، فبمساعدة من قائد السجن الذي كان متعاطفًا معه قام بتزوير برقية يدَّعى أنها من هيملر، حيث يأمر قوات الأمن الخاصة بنقل النزلاء إلى مكان آمن، وعلى ضابط قوات الأمن الخاصة أن يتصل بمكتب هيملر لتلقى أوامر أخرى. كان تليفون السجن معطَّلاً، فذهب ضابط الأمن خارج السجن للاتصال بمكتب هيملر، في ذلك الحين ساعد قائد السجن الجنرال سبيدل أكثر من عشرين نزيلاً

على الهرب. لجأ الفارُّون إلى قس في الكنيسة الكاثوليكية، حيث ساعدهم، وتستَّر عليهم، وقبل القبض عليهم كانت قوات الحلفاء قد دخلت المنطقة. هكذا انتهت تقريبًا نهاية قصة روميل، ولكني رغم ذلك يجب أن أرجع بضع أسابيع لأسرد أغرب فصل فيها. سنرجع إلى النصف الأول من شهر مارس 1945، حيث تسلَّمت فراو روميل خطابًا مؤرخًا 7 مارس كان هذا الخطاب من إدارة مقابر الحرب.

لقد أُسند إلى الزعيم بأن يقيم تمثالاً لإحياء ذكرى المارشال روميل، ولقد سألت كثيراً من النحاتين لتصميم نموذجًا للتمثال، وتسليمه لي شخصيًا، وقد أرفقت بالخطاب صوراً لبعض هذه النماذج، أعتقد أن المارشل روميل يتناسب معه تمثال على شكل أسد. هكذا قدم أحد الفنانين تصميمه على شكل أسد ميت، وآخر على شكل أسد باكي، وثالث على شكل أسد يقفز. أنا أفضِّل الأخير، إذا كنت تفضلين الأسد الميت فأرجو أن تخبريني بذلك، فمن الممكن أن نبدأ في التنفيذ فوراً، حيث إن معي تصريح خاص من السيد الوزير، حيث إن الآثار لا يمكن أن تصنع الآن من الصخور، ولكن يعد تمثال روميل استثناءً، فيمكن بناؤه فوراً.

ولم ترد فراو روميل على هذا الخطاب.

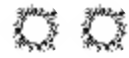

بعد ربع قرن من معركة العلمين:

زيارة مونتجومري لميدان القتال

(مقال في صحيفة المصري اليوم)

obeikandl.com

obeikandl.com

عبد الناصر يستقبل مونتجومري

في مصر بعد ربع قرن من معركة العلمين

قبل النكسة بشهر واحد، وتحديداً في 4 مايو 1967 كان القائد البريطاني الشهير الفيلد مارشال مونتجومري يهبط في مطار القاهرة ليجد في استقباله عدداً من كبار رجال الدولة والجيش. جاء إلى مصر بعد 25 عامًا من انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإلحاقه أول هزيمة بثعلب الصحراء الألماني روميل بعد ربع قرن من معركة العلمين. عاد الفيلد مارشال إلى مصر ليجدها قد تحولت 180 درجة، فمن مملكة تضم السودان إلى جمهورية تلتزم بحدود مصر، ومن مستعمرة قديمة إلى دولة محورية في العلاقات الدولية. زار مونتجومري القاهرة التي تحولت من "مزار سياحي" إلى "مركز ثوري" تتطلع إلى زيارته حركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

ففي أواخر عام 1966 تبادل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والفيلد مارشال مونتجومري 3 رسائل ممتعة؛ طلب مونتجومري من عبد الناصر في الرسالة الأولى أن يسمح له ولبعض رفاقه بزيارة أرض معركة العلمين بمناسبة مرور 25 عامًا عليها، وكان مونتجومري على ما يبدو غير واثق من إمكانية حصوله على هذا الإذن؛ بسبب انقطاع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا على إثر اشتراكهما مع إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وعلى الرغم من ذلك يتلقى مونتجومري رداً من الرئيس الراحل عبد الناصر يدعوه ورفاقه إلى أن يكونوا ضيوفًا على مصر في هذه الزيارة، وعاد مونتجومري، فكتب إلى عبد الناصر خطابًا بخط يده يشكره فيه على الدعوة التي وجَّهها إليه، وفيما يلي نصوص الرسائل الثلاثة:

- **الخطاب الأول من مونتجومري:**

من الفيلد مارشال لورد مونتجومري أوف علمين ـ إنسجتون ميل ـ التون ـ هانتس في 9 نوفمبر 1966 .

سيدي الرئيس العزيز :

هناك جميل أريد أن أسألكم فيه : في العام القادم 1967 ستحل الذكرى الخامسة والعشرون لمعركة العلمين، فهل تسمح لي يا صاحب الفخامة بأن أزور ميدان المعركة مع بعض زملائي في السلاح خلال تلك الأيام، إننا نرغب في دراسة بعض المناطق الرئيسية، والتقاط بعض الصور، وربما لأنك أنت نفسك جندي فإنك ستدرك مدى الغبطة التي تتيحها لنا مثل هذه الزيارة، إننا نريد أن نجيء في الأسبوع الأول من مايو 1967، وأن نجعل من الإسكندرية قاعدة لنا، كما أن فريقنا مكوَّن من 5 أفراد فقط، وسنطير من لندن إلى القاهرة رأسًا، وأخشى حين يُعرَف أنني في الصحراء أن ينقض على صحفيون يمثلون عدة أمم، ومن ثم فإننا سنكون في حاجة إلى بعض الحماية، وسيقدم الجيش المصري خدمة كبيرة جدًا إذا أتاح لي مساعدة من ضابط يتكلم الإنجليزية، وبعض الجنود ليبعدوا عني الناس، كذلك أرجو أن يتمكَّن الجيش المصري من مَدِّنا بسيارتين من طراز لاندروفر أو جيب؛ لنستعملها في الصحراء بعيدًا عن طريق الساحل، ولعلك تتكرم يا صاحب الفخامة بأن توافيني باسم ممثلكم في لندن الذي استطيع أن أتقدم إليه بطلب تأشيرة دخولي. .

المخلص جدًا لك

إمضاء مونتجومري أوف علمين .

- **رد من الرئيس جمال عبد الناصر:**

عزيزي المارشال مونتجومري: لقد تلقيت باهتمام وبتقدير خطابك إلى المعركة ومعك عدد من رفاقك في السلاح تتذاكرون وتتدارسون، وتطوفون ببعض المواقع التي عاشت مشاهد تلك المعركة الحاسمة.

ويسعدني أن أرحب بك وبرفاقك في مصر، وإني واثق أن الشعب المصري يسرُّه أن تكونوا ضيوفًا عليه أثناء الزيارة، وبصرف النظر عن كل الخلافات السياسية بين حكومتَيْنَا فإن كثيرين هنا يقدرون الأهمية التاريخية لمعركة العلمين، ولدورك الممتاز في قيادتها، والآثار بعيدة المدى التي ترتبت على النصر فيها، ولقد طلبت إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات البرية للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة أن يتخذ الترتيبات اللازمة لهذه الزيارة على ضوء ما طلبت في خطابك إليَّ، وسوف تُخْطَر سفارة الجمهورية العراقية القائمة بأعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن بأن تمنح تأشيرات دخول لكل من يتقدمون إليها للسفر معك بتزكية منك، وتقبل أصدق التحية مع خالص أمنياتي لك بالصحة والسعادة.

إمضاء

"جمال عبد الناصر"

القاهرة في 10 ديسمبر 1966

- **الخطاب الثاني من مونتجومري:**

من الفيلد مارشال مونتجومري أوف علمين في 15 ديسمبر 1966.

عزيزي الرئيس:

لقد جاء قنصلكم في لندن السيد فوزي محبوب لمقابلتي أمس، وحمل إليَّ خطابكم الودِّي الكريم بتاريخ 10 ديسمبر 1966، إنه لكرم منكم يا سيدي الرئيس أن تقبلوا طلبي، وإني لمتأثر جداً بالدعوة الموجَّهة ليَّ لأكون ضيفكم خلال زيارة مجموعتنا، ولست أستطيع إلا أن أقول على الفور إننا سنطير إلى القاهرة يوم 4 مايو، ونبقى فيها

تلك الليلة، ثم نذهب إلى الإسكندرية، وسوف تكون مجموعتنا مكونة من أربعة ضباط بمن فيهم أنا، واثنان من المصورين، وآمل مساء يوم 4 مايو أن أقدم لكم احترامي بنفسي في القاهرة. إنني غير سعيد بما يحدث في العالم الآن، وهناك مسائل كثيرة أتمنى لو استطعت مناقشتها معكم، مع أعمق التحية.

إمضاء مونتجومري أوف علمين

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر مونتجومري مساء 4 مايو بالفعل، ومن المفارقات الطريفة في هذا الاستقبال أن المشير عبد الحكيم عامر كان بصحبة عبد الناصر في استقبال الفيلد مارشال، وعندما رأى مونتجومري رتبة المشير عامر والنياشين المعلقة على صدره أخذه الذهول طويلاً لكن الرئيس عبد الناصر قدَّمه له من جديد قائلاً: أعرفك بـ" فيلد مارشال" عبد الحكيم عامر، فسأله مونتجومري على الفور: في أي حرب حصلت على اللقب؟! وساد صمت طويل لم تقطعه إلا كلمات الترحيب بالضيف الإنجليزي، وكذلك الحديث عن انطباعاته حول مصر بعد 25 عامًا من انتهاء الحرب العالمية الثانية.

- **زيارة مونتجومري لأرض المعركة:**

بدأ المارشال مونتجومري زيارته لمصر مساء يوم 3 مايو 1967 عقب وصوله من لندن بطائرة الخطوط الجوية البريطانية، وكان في استقباله في مطار القاهرة الفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجي قائد القوات البرية وقتئذ الذي عيَّنته القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية لمرافقة المارشال مونتجومري خلال زيارته لمصر التي استغرقت 10 أيام، كما حضر استقباله بمطار القاهرة لفيف من قادة القوات المسلحة وقتئذ كان على رأسهم الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان حرب الجيش، والفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية، والفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات، والفريق صلاح الحديدي مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا، وكذا عدد كبير من ضباط القوات المسلحة.

وقد هبط مونتجومري من الطائرة وهو يرتدي ملابسه العسكرية، برغم أنه في

التقاعد، وكان عمره وقتئذ 79 عامًا، وصحبه الفريق أول مرتجي إلى المنصة الرئيسية، حيث عزفت الموسيقى "عظيم سلام"، وتفقد حرس الشرف من طلبة الكلية الحربية، وتوجه بعد ذلك إلى استراحة كبار الزوار بالمطار لفترة قصيرة سأل خلالها عن الجو في مصر وعن توقيت القاهرة، ثم استقل السيارة مع الفريق أول مرتجي إلى القصر الجمهوري، حيث قيَّد اسمه في سجل التشريفات.

وقد صحب المارشال مونتجومري خلال زيارته لمصر الجنرال السير أوليفر ليز (72 عامًا) الذي خلفه في قيادة الجيش الثامن البريطاني، والبريجادير "العميد" هيومان رينج رئيس العمليات في الجيش الثامن.

وقضى مونتجومري ليلته بالقاهرة في فندق مينا هاوس في الغرفة رقم 36 التي سبق لونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية النزول فيها، وفي الصباح يوم 4 مايو 1967 غادر مونتجومري القاهرة بطائرة خاصة إلى الإسكندرية، وانتقل منها بطائرة هيليكوبتر إلى سيدي عبد الرحمن التي أقام في فندقها المطل على البحر طوال فترة جولته في المنطقة التي استمرت أسبوعًا واحدًا.

وفي صباح يوم 7 مايو بدأ مونتجومري جولته الميدانية متوجهًا بالسيارة التي خُصِّصَت له وبرفقته الفريق أول مرتجي إلى المتحف الحربي بالعلمين، وقضى ساعة في مشاهدة الأسلحة والعتاد التي خلَّفها الإنجليز والألمان والإيطاليون.

وشاهد إحدى الدبابات الأمريكية من طراز شيرمان التي وصلت المئات منها قبيل المعركة، واستطاعت أن تقلب ميزان القوة في المدرعات لصالح مونتجومري.

وتوجَّه مونتجومري ومرافقوه بعد ذلك إلى مقابر قتلى الحرب البريطانيين في العلمين، حيث وضع عليهم إكليلاً كبيرًا من الزهور، ولم يستطع أن يحبس دموعه وهو يمر على قدميه وسط جنوده الذين جادوا بأرواحهم في سبيل أن يحرز النصر في المعركة، وأنهى زيارته لمقابر البريطانيين بإلقائه كلمة وهو في حالة شديدة من التأثر.

وانتقل مونتجومري بعد ذلك إلى استراحة العلمين، حيث عقد مؤتمره الصحفي الذي حضره حوالي مائة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء، وفي بداية المؤتمر ألقى مونتجومري كلمة قال فيها إنه قرر أن يحج إلى العلمين في مناسبة مرور 25 عامًا على معركتها، وأنه كتب إلى الرئيس جمال عبد الناصر خطابًا بهذا المعنى، فرد بخطاب غاية في الرقة، وترك في نفسه أثرًا بالغًا.

وأشاد مونتجومري بالحفاوة التي لقيها من السلطات المصرية منذ وصوله إلى القاهرة، فكانت سيارته تقطع شوارع القاهرة وعليها علم الفيلد مارشال وسط شعب صديق للغاية مما أثَّر جدًا في نفسه.

وأجاب مونتجومري عن سؤال عن حرب السويس عام 1956، فقال: "لقد تعلمت أن الحكومات حينما تفكر في القيام بأعمال عسكرية فإنها تضع نصب عينيها ثلاث حقائق، وهي: (هل العمل العسكري مرغوب فيه سياسيًا، وهل هو ضرورة عسكرية، وهل هو عمل أخلاقي أم غير أخلاقي؟). لقد كان هتلر يعتقد أن السيطرة الألمانية على العالم ضرورة سياسية وضرورة عسكرية على السواء، ولكنه لم يكن يهتم بالناحية الأخلاقية، وأنا شخصيًا أعتقد أن العامل الأخلاقي غاية في الأهمية، كما أنني أعتقد أن العمل العسكري الذي قامت به بريطانيا ضد مصر عام 1956 كان عملاً غير أخلاقي".

وعن سؤال حول السياسة البريطانية المستقبلية في شرق السويس أجاب مونتجومري قائلاً: "إنني بصفتي جنديًا خدم نحو 50 عامًا في الجيش البريطاني أعرف منطقة الشرق الأوسط معرفة جيدة جدًا، وعلينا أن نواجه الحقائق، وأولى هذه الحقائق أن القوات المسلحة الغربية لا تتمتع بأي شعبية وسط شعوب الشرقي الأوسط والأقصى، وإذا كان لزامًا على الغرب أن يكون له وجود في شرق السويس فإن هذا الوجود يجب أن يقتصر على البحار أو تحت المياه، وقد سبق أن قلت هذا الكلام أمام مجلس اللوردات البريطاني الذي انتمي لعضويته".

وحول احتمالات قيام حرب عالمية ثالثة قال مونتجومري: "لا أرى أدنى احتمال لنشوب نزاع عالمي مسلح، وليس هناك تهديد من جانب المعسكر الشرقي ضد العالم الغربي، بالرغم من وجود حروب محدودة في بعض المناطق في العالم".

وعندما سأل أحد الصحفيين مونتجومري لماذا لم يضع باقات من الزهور على قبور القتلى الألمان والإيطاليين، كما فعل في مقابر البريطانيين؟ قال إنه لا يعتقد أن هذا ضروري، وأنه كلما مر بجوار مقابر الألمان والإيطاليين فإنه يهدئ من سرعة سيارته.

واختتم مونتجومري زيارته الميدانية للعلمين قائلاً: "إن هناك حوالي سبعة آلاف جندي قتلوا أثناء معركة العلمين، وقد تم لنا النصر بفضل بطولتهم وإقدامهم على إحراز النصر أو الموت، إنني أعتقد أننا لو أنصتنا لأمكننا أن نستمع إلى أصوات قادمة عبر الزمن، أعتقد أنها تقول: نحن الموتى نقدم الشعلة إليك فارفعها عاليًا، وإذا حنثت بوعودك فلن نستطيع النوم جيداً، وأن هذه الشعلة هي شعلة الحرية والعدالة، ولن نفرط فيها أبداً، ويجب علينا ألا نسمح لهذه الشعلة أن تخبو".

وتعد معركة العلمين واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، فقد انتقلت الدفة بعدها نهائيًا على مسرح شمال أفريقيا إلى بريطانيا وحلفائها، وكانت بمثابة نقطة التحول في حرب البحر الأبيض المتوسط، فلم تمض حوالي سبعة شهور على المعركة حتى تم تدمير قوات المحور في شمال أفريقيا تدميراً تامًا، واضطر الجنرال فون أرنيم الذي خلف روميل في قيادة قوات المحور في تونس إلى الاستسلام لقوات الحلفاء هو وجميع قواته في حوالي منتصف مايو 1943، وبذا وقع ما يزيد على 90 ألف مقاتل من قوات المحور في الأسر بكامل أسلحتهم ومعداتهم، وهو حدث يعد من الحوادث الفريدة في تاريخ الحروب، ولذا كانت معركة العلمين كما وصفها ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني وقتئذ بحق هي "نهاية البداية".

لقد خسرت قوات المحور في معركة العلمين ما يزيد على عشرة آلاف من القتلى

والجرحى، فضلاً عن ثلاثين ألفًا من الأسرى، ونحو خمسمائة دبابة، بينما خسر الجيش الثامن البريطاني ثلاثة عشر ألفًا من القتلى والجرحى، ونحو أربعمائة وخمسين دبابة.

وقد حظيت معركة العلمين باهتمامات رجال الحرب والسياسة والمؤرخين على اختلاف جنسياتهم وأهوائهم ومشاربهم، فسجلوا أحداثها ووقائعها في كتبهم ومؤلفاتهم، وفي التقارير الرسمية ودوائر المعارف، كما دونوا شروحهم وتحاليلهم للمعركة، وأهم الدروس المستفادة منها ونتائجها بالنسبة للحرب العالمية الثانية، وقد ظهر ما يشبه الإجماع على أن معركة العلمين تدخل في عداد المعارك الكبرى في التاريخ؛ وذلك نظرًا لما اجتمع لها من حشود هائلة من المقاتلين والأسلحة والعتاد، وما ظهر فيها من صور جديدة للحرب، وخاصة في حرب الصحراء كزرع مساحات ضخمة من حقول الألغام في مواجهة المدرعات والمشاة، وضرب الطائرات لخطوط المواصلات، سواء البرية أو البحرية، والتركيز الشديد لنيران المدفعية على المواقع الدفاعية قبل بدء اقتحامها بالمدرعات والمشاة.